روايات مصرية

سلة الروايات 38

النور والظلام

Looloo
www.looloolibrary.com

وائل القاضى

مقـــدمـة

إنها أمواج الحياة ..

التى نبحث بين أمواجها عن كنوزها ..

ونجرى ونلهث وراءها ..

فنجد أناسًا يتنعمون ..

وأناسًا يحترفون ..

وبين أولئك وأولئك .. آخرون ..

يطلق عليهم البسطاء ..

والثلاث لهم مشاكلهم ومآسيهم ..

التى سنستعرضها ..

والتى ربما نتأثر بها ..

حيث سنتألم لألمهم ..

ونبكى لدموعهم ..

فقد نحزن تارة ..

وقد نضحك تارة أخرى ..

ولكن فى كل مرة سنجد قصة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أبطالها من الحياة ..

دموعهم من الواقع ..

أحداثها من الخيال ..

وعندما يمتزج كل هذا مع ذاك ..

سيخرج لنا الاسم جليًا .. وهو ..

قصص من الواقع والخيال ..

وائـــل القـــاضى

اعتـــــذار

هذه القصة من وحى خيال المؤلف .. وليست سوى مجرد خيال .. أى أحداث فى هذه القصة .. تشابه مع الواقع .. فهذه ليست مسئولية المؤلف .. ورغم ذلك ..

فالمؤلف يعتذر إلى نقابة أطباء جمهورية مصر العربية .. وجميع أطبائها الأجلاء .. بلا استثناء ..

المؤلف

المستشار/ وائل القاضى

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصل الأول

وقف الطبيب (إبراهيم ..م.. أ) .. أكبر وأشهر الأطباء المتخصصين .. فى مجال جراحة القلب .. والأوعية .. الدموية .. فى جمهورية مصر العربية كلها .. بل .. فى العالم العربى بأكمله ..

وقف هـذا الأخيـر أمام المرآة .. ينظـر إلى نفسـه .. ووسامته .. وأناقته .. وروعـة حلته .. وإلى شـعره الأسـود المتفحم .. والذى لم تصبه شعره بيضاء حتى الآن بحق .. وهـو الذى لم يبلغ الخمسين من عمره بعد ..

ثم شرع ينثر على نفسه .. أجمل .. وأغلى العطور .. فى إفراط معتاد منه .. كان يعلم أن تفوقه .. ونبوغه .. ونجاحه .. وشهرته .. وثراءه ..

مثار حقد .. وغيرة .. وحسد من الكثيرين .. من هم فى مثل مهنته .. وعمره .. ولكنه لم يبال يومًا بهذا .. بل ولم يوقفه .. أو يؤثر عليه ..

وبعد أن نثر من عطـره ما نثر .. شرع يتأمل نفسه فى المرآة مرة أخرى .. فى إعجاب .. وتكبر واضحين .. كان على يقين .. بأن مكانه .. ومكانته .. أكبر من أن يكونا بمصر .. ولكن اللعنة .. وألف لعنة على الوطنية .. التى من أجل عائلته .. وزوجته .. وأصدقائه .. وزملائه .. أجبروه معنويًا على البقاء فى مصر .....

فى تلك اللحظة كانت زوجته (نبيلة) .. تقف على عتبة باب الغرفة .. وهو لا يشعر بها بالطبع ..

وكانت تعلم هى ذلك .. وبقدر ما كان يؤلمها ذلك .. فقد كانت تعلم قدر ومقدار .. عشق زوجها لنفسه .. بصفة عامة .. وللمرآه .. بصفة خاصة .. وأخيرًا وليس آخرا .. اصابها الملل .. من مراقبته .. وهو لا يشعر بها .. فقالت متصنعه التفاؤل وقليل من المرح :

صباح الخير يا .. حبيبى ...

نطقت هذه الأخيرة .. بهذه العبارة .. وهى لا تزال واقفة على عتبة باب الغرفة لتخرجه من حبل أفكاره .. وزهوه .. ونشوته بنفسه ..

فأجابها فى آلية .. كانت بالنسبة إليها جفاءً معتادًا :

صباح الخير .. يا حبيبتى ..

وسرعان ما ظهر نجله الحبيب (لؤى) .. ذو الثلاثة عشر ربيعًا .. ومن خلفـه نجلتـه الحبيبـة (سـما) .. ذات العشـر أعـوام .. وسرعان ما هرولا نحو والدهما .. وهما يتسابقان إليه عبـر الغرفة .. واحتضـناه كلاهما .. مـن الخلف .. فى قـوة .. فالتفـت إليهما .. فى سرعة .. ليرتمى فى أحضانهم .. وشرع ثلاثتهم .. يرتوون من بعضهم البعض ..

Looloo
www.looloolibrary.com

سيما وأنه فى كثيـــر من الأحيـــان .. كانوا لا يرون .. والدهم إلا فى الصباح ..

فى تلك الأثناء كانت (نبيلة) .. ما زالت تقف .. وتراقب .. ما يحدث أمامها .. فهى تعلم .. قدر .. ومقدار .. عيوب ومآخذ .. ومثالب .. زوجها .. كلها .. ولكن الشىء الوحيد الذى لم يتغير فيه .. حتى الآن .. هو عشقه لنجليه الحبيبين .. ومن ثم عشق نجليه له .. فهى كانت .. ولا زالت .. تدعوه .. وتتضرع .. إليه سبحانه عز وجل .. فى كل لحظة .. وكل يوم .. من أجل ذلك .. وستظل تدعوه .. حتى يحين أجلها .. من أجل ذلك أيضًا .. وانتهى الجميع من .. عناقهم ..

وهنا قال (لؤى) .. وهو يمد يده نحو والده :

المصروف .. يا سى .. بابا ..

وبدون تردد .. وبدون نقاش ...

وضع هذا الأخير يده فى جيبه الأيمن .. ثم أخرجها .. وأعطى كلاهما المصروف الخاص .. به .. فهو يعلم ما سيحدث .. ولكنه لم يكن ينتظر .. سوى .. مجرد السؤال والطلب .. منهما .. فقط .. أو بمعنى أدق .. من نجله (لؤى) بالتحديد .. أما نجلته .. الحبيبة .. فقد كانت تريد .. ولكنها كانت تستحى .. حتى ولو كانت تريد المزيد .. والذى لا يعلمه كلا نجليه الحبيبين بحق .. بأن والدهما كان حريصًا كل الحرص .. منذ الليل على وضع .. مصروفهما .. فى جيب حلته .. وذلك حتى لا يضطر إلى إخراج

حافظته أمامهما .. ليس بخلاً منه على نجليه .. ولكنه لا يحب إخراج حافظته بصفة عامة ..

وكانت (نبيلة) .. تنظر إليهم جميعًا .. وهى تدعوه سبحانه .. من أعمق أعماق قلبها .. ألا يفـرق شملهم .. ولا ينفـرط .. جمعهم أبدًا .. أبدًا ...

وهنا قال (لؤى) على استحياء :

أبى .. هناك شىء .. أود قوله .. وأرجو أن تسمح لى بذلك ..

فقال له والده على الفور :

تفضل يا سى (لؤى) .. واستدرك الأب :

ولكن بسرعة .. واختصار ..

فقال (لؤى) :

أنت تعلم يا أبى .. أن أجازه نصف العام .. بعد حوالى ثلاثة أسابيع .. ولقد شاهدت على الإنترنت .. رحله إلى فرنسا .. لمدة أسبوع .. عائلية .. تشمل كل شىء .. من إقامة .. وطعام .. وهناك .. أتوبيس سياحى فاخر .. سوف ... فقاطعه والده فى صرامة :

كفى .. أنت تعلم يا (لؤى) .. أن طبيعة عملى لا تسمح بذلك ..

ثم ابتسم الأب مستدركًا قائلاً :

Looloo
www.looloolibrary.com

ولكن أعـدك .. يا حبيبى .. بأن نقـوم برحـلة ما .. فى يـوم مـن الأيام ..

فطأطأ (لؤى) رأسه فى حزن .. وكادت الدموع تترقرق فى عينيه ..

وانحنى الأب يطبع قبلاته .. على وجهيهما .. وكذلك الأمر .. حال انصرافهما ..

وفى الطريق .. وقبل الوصول .. إلى سيارة والدهما الخاصة .. والتى اشتراها لهما خصيصًا .. وأحضر لها سائقًا خاصًا .. أيضًا .. لكى تقوم بتوصيلهما .. إلى مدرستهما الخاصة بهما ..

وهنا قالت (سما) لشقيقها :

ألم أقل لك .. لا تطلب من أبى .. ثمه شىء ..

كنت أعلم أنه سيرفض ..

فقال لها فى أمل :

من يدرى ؟ إن الله سبحانه وتعالى ... على كل شىء قدير ..

وركبا سيارة والدهما .. وانطلقت بهما السيارة ..

إلى حيث مدرستهما .. وجلس الزوجان .. على مائدة الإفطار .. وحيث كانت الساعة الثامنة صباحًا بالتحديد .. وشرع الزوج يتناول .. طعام الإفطار ...

وهو يتصفح الجرائد .. ويتناول .. قدح القهوة ..

فى ذات الوقت ..

بكل تؤدة .. واستمتاع .. ودون أن يتبادل مع زوجته الحبيبة أدنى كلمة .. وبعد حوالى خمس دقائق كاملة .. قالت له .. محاولة كسر حاجز الصمت الرهيب بينهما :

كيف حالك .. اليوم .. يا حبيبى ..؟

فأجابها باقتضاب .. ودون حتى أن يرفع نظره عن الجريدة .. ودون حتى عناء النظر إليها :

بخير ..

فسألته وهى تحاول مرة أخرى :

كيف حال .. المرضى .. والمستشفى .. والعيادة ..؟

باقتضاب مرة .. أخرى ..

لا جديد ..

فسألته .. وهى تحاول مرة أخرى ..

هل الجرائد أفضل منى ..؟

فرمى الجريدة من يده بكل عصبية قائلاً :

Looloo
www.looloolibrary.com

ماذا تريدين الآن يا (نبيلة) ..؟

فأجابته باقتضاب مقلدة إياه ..

لا شيء ....

* * *

الفصل الثانى

انصرفت (نبيلة) .. فى غضب .. وهى تحمل بعض أطباق طعام .. الإفطار الفارغة .. وتركته هو .. لينفرد .. بجرائده .. ومجلاته .. وبنفسه .. دون إزعاج .. منها ..

وشرعت تغسل الأطباق .. وقد ترقرق الدمع .. فى عينيها ..

سيما وقد تذكرت فى تلك اللحظات .. أنهما قد تعرفا .. على بعضهما البعض فى كلية الطب ..

وعلى الرغم من أنه كان فى (الفرقة الخامسة) .. وهى فى (الفرقة الثالثة) ..

وكان هو علم من أعـلام الكلية .. بل فى الجامعة كلهـا .. فى ذلك الوقت ...

بسبب نبوغه .. وتفوقه .. وكانت هى الأخرى ..

علم من أعلام الكلية .. أيضًا .. بل فى الجامعة .. كلها .. ولكن فى الجمال .. وجمعهما اللقاء .. والتقيا ..

وبدون مقدمات .. نسج الحب .. خيوطه حولهما على الفور .. وكأنهما .. كانا على استعداد لذلك .. أو ربما .. كانا ينتظران ذلك اللقاء ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ومنذ أول لقاء بينهما مصادفتا ... أبدى إعجابه بها على الفور .. وطلب منها أن تكون له وحده .. واحتكرها .. واستجابت له على الفور .. هكذا .. هو الحب .. وساعدها على إنهاء دراستها .. بنجاح .. وتم تعيينها .. أخيرًا .. ولكن فى مستشفى آخر .. بعيدًا عن حبيبها ..

ولأنه كان مباشرًا .. فقد طلبها للزواج .. وفى شقه بسيطة جدًا .. من غرفتين وصالة ومطبخ ..

وافقت على الزواج منه .. وقد وعدها .. وأقسم لها .. أنها مجرد البداية .. وتذكرت أيضًا .. أنها طوال أيام دراستها ..

كانت هى التى تجرى وتلهث ورائه .. فضلاً عن مطاردة المعجبات له .. فى كل مكان .. وكان ذلك يقتلها ..

ولكنه .. والحق يقال .. كان مخلصًا لها .. ولم ينظر .. أو يلتفت إلى غيرها .. أو بمعنى أدق .. لم يكن لديه الوقت .. الكافى لذلك .. ومرت الأيام .. وحملت بنجلها الأول ..

درة عينها .. وفؤادها .. (لؤى) .. وطلب منها الحصول على إجازة بدون مرتب .. والبقاء فى البيت حرصًا على جنينها .. ووليدها .. وكان مجرد طلبه لها .. أمرًا .. يجب طاعته .. على الفور .. بدون مجادلة .. أو مناقشة .. وتنازلت من أجله عن كل شىء .. تنازلت عن .. كليتها .. وشهادتها .. ودراستها .. التى سهرت من أجلها أحلى .. وأغلى الليالى .. من أجله هو فقط .. هو وحده ...

ومنـذ ذلك الحيـن .. وهى تجلس فى البيت .. وحيـدة .. حبيسة فى منزلها ..

صحيح أنه بمرور الأيام .. علا نجم زوجها .. وحبيبها .. إلى أقاصى السماء .. وبلغت شهرته .. جميع الأماكن .. والآفاق .. وكانت هى فى منتهى السعادة والفخر .. بزوجها الحبيب .. وبعد ثلاثة أعوام من ميلاد (لؤى) .. حضرت الحبيبة الثانية (سما) .. وساعتها .. أصبح جلوسها فى البيت أمرًا واقعًا .. لا يمكن تغييره .. ولكن من أجل أولادها .. هذه المرة ...

وتم تغيير المسكن .. والأثاث .. بمسكن .. وأثاث أفضل بكثير .. من الشقة البدائية الأولى .. وقام حبيبها بتحقيق وعده معها .. ولكن كلما .. زاد نجاحه .. وشهرته .. كلما .. زاد بعده عنها ..

ومع الأيام أصبح البيت كالفندق .. يأتى .. لكى ينام .. لكى يستيقظ مبكرًا .. صباحًا .. للذهاب إلى المستشفى .. ومرضاه ..

وأخيرًا وليس آخرًا .. استطاع زوجها .. شراء هذه الفيلا الجديدة .. بأثاث جديد .. ومع الوقت .. بدل السيارة .. أصبح هناك ثلاث .. مع اثنين من السائقين الخاصين .. أحدهما للأولاد .. والثانى لها .. فى حال الحاجة .. إليه .. ولكن السائق الثانى فى الأصل كان له .. وحده .. ورغم رغبتها .. فى طفل ثالث .. وبشدة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

إلا أنه أبى .. ورفض ذلك بكل إصرار .. بحجة الحرص على أولادهما .. وأن يشملهما .. هى وهو معًا .. بكل أنواع الرعاية والحنان .. الممكنة ..

وعلى الرغم .. من أنها لم تقتنع .. بأدنى كلمة .. من كلامه .. إلا أنها .. وكالعادة انصاعت له ..

دون مناقشة .. أو مجادلة .. واستجابت .. واستكانت له فى خنوع .. وخضوع ..

فرغم كل ذلك .. كان حبه قد ملكها .. وجعلها أسيرة .. لديه ..

ولكن ومع كثرة بعده عن البيت .. وانشغاله الشديد .. وانغماسه الأشد فى عمله .. إلى أقصى حد ..

جعل البعد بينهما أمرًا .. واقعًا ..

وشرع يقطن فى المسكن .. ساكن جديد .. يدعى الفتور .. أو ملل وروتين الحياة الزوجية ..

بكل أشكالها ...

* * *

الفصل الثالث

انتهت (نبيلة) من غسل أطباقها .. وشرعت تشغل نفسها .. بأى شىء آخر . وأخرجت الطعام .. الذى سوف تقوم بإعداده .. اليوم .. على وجبة الغذاء ..

ودقت الساعة المؤقتة (التايمر) .. حسبما قامت هى بضبطه .. على الساعة التاسعة صباحًا ..

فخرجت إلى زوجها .. فوجدته ما زال يتصفح أحد المجلات العلمية .. والتى كانت باللغة الإنجليزية بالطبع ...

فقالت له .. فى مرح :

إحم .. إحم .. نحن هنا .. دقت ساعة العمل ..

يا دكتور .....

فترك المجلة .. من يده .. وتثاءب .. بقوة .. وتململ .. فى جلسته ..

ثم قال .. والرغبة فى النوم تتصاعد إلى عينيه :

أريد فنجانًا آخر من القهوة ..

فقالت له معاتبة :

Looloo
www.looloolibrary.com

اليوم .. هو يوم الأحد .. وهو اليوم المخصص .. لمرضى التأمين الصحى .. هيا قم .. واذهب إليهم .. إنهم ينتظرونك .. منذ الأمس .. وربما آخرون .. ينتظرونك منذ أسابيع ..

فقال لها فى غضب :

اللعنة .. ألف لعنة على مرضى التأمين الصحى ..

ثم أردف كلامه بنفس لهجته الغاضبة :

لقد أصبحت أبغض .. يوم الأحد هذا ..

من أجل ذلك ..

فقالت له زوجته بنفس اللهجة الغاضبة :

لقد أعطاك الله سبحانه .. أكبر نعمة ...

فقاطعها صارخًا وقد أدرك المحاضرة التى سوف تلقيها على مسامعه :

(نبيلة) .. أحضرى فنجان القهوة .. وبسرعة ..

فذهبت هذه الأخيرة لتنفيذ أمره ..

فهى تعلم مسبقًا عدم جدوى مناقشته .. وفى صمت أعطته .. قدح القهوة .. وانصرفت ..

وفى صمت .. تناول هو قهوته .. ثم انصرف ..

وسرعان .. ما انصرف إلى سيارته ..

وهو يلقى التحية .. على (سعيد) .. السائق الخاص له وقد تعكر .. صفو مزاجه .. وسرعان ما قال (سعيد) وهو يجرى ليفتح باب السيارة الخلفى لمخدومه :

صباح الخير .. يا معالى .. الباشا ..

فرد (إبراهيم) تحيته باقتضاب :

صباح الخير ..

وعندما أدرك (سعيد) .. أن مخدومه متعكر المزاج .. فالتزم الصمت .. التام .. حتى لا يفرغ الطبيب .. فيه عصبيته ..

رغم ثقته التامة .. أن سيدته (نبيلة) .. لا يمكن أن تكون هى السبب فى هذه الحالة .. التى هو عليها ..

فهى بالفعل .. اسم .. على مسمى ..

وبعد الخروج من الفيلا .. قال (سعيد) .. فى خوف :

إلى قسم .. التأمين الصحى ؟

وكم تمنى (إبراهيم) .. أن يصرخ فيه ..

بالطبع أيها الغبى ..

ولكنه أدرك .. بأن الرجل لم يفعل له ثمة شىء بحق ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فاستعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم .. فهو يعلم بأن الشيطان .. يأتى الى الشخص الغاضب .. فينفث فيه غضبه .. ليزيده ... فاستعاذ مرة أخرى .. وهو يحاول كبح جماح غضبه الشديد ...

والذى لا يدرى له سببًا واضحًا .. سوى أنه أصبح يبغض قسم التأمين الصحى .. وكم كان يتمنى ألا يذهب .. إلى هناك مرة أخرى ..

على الرغم من أنه لا يذهب .. سوى مرة واحدة فى الأسبوع .. وهذا هو اليوم الأسود .. يوم الأحد ..

فأجاب مرة أخرى باقتضاب :

نعم ..

وسرعان ما وصل هذا الأخير الى هناك ..

وشرع الجميع يهرولون إليه .. لاستقباله .. ووصل إلى صالة الاستقبال .. والتى كانت تعج بالمرضى ..

فنظر إليهم جميعًا .. فى إشمئزاز .. وهو يتمنى تفجيرهم .. بحق ...

وسرعان ما استقبله صديقا عمره ، الدكتور (خليل) ..

والدكتور (مراد) .. وتلميذه .. ومساعده .. الدكتور (شريف) .. فما أروع لقاء الأحبة .. وما أجمل .. خير الصحبة .. وبلقائهم .. قاما بالتخفيف .. والتهوين عليه .. مما هو فيه .. فقد بلغ مرحلة .. كاد ينفجر فيها من شدة الغيظ ..

وبعد الأحضان .. والأشواق .. والقبلات ..

قال (خليل) .. مداعبًا :

لقد تأخرت .. أيها الشقى .. اليوم .. ساعة كاملة ..

فأجابه (إبراهيم) فى بساطة :

أنتم تعلمون زحمة الطريق ...

فقال (مراد) مداعبًا .. وهو يغمز بعينه اليمنى :

زحمـــة الطريق .. أم أن ســـهرة الأمس .. كانت شديدة .. يا طبيب القلوب .. وشرعا .. (خليل) .. و(مراد) يضحكان .. ويضحكان ..

بينما هو .. فقد اكتفى ..

بالابتسام .. فقط .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصل الرابع

والآن .. كفى مزاحًا يا سادة ...

نطق الدكتور (إبراهيم) .. بهذه العبارة ..

كما اعتاد دائمًا أن يقولها ..

ولكن خرجت منه بلهجة مختلفة تمامًا هذه المرة ..

فقد .. حاول أن تكون عبارة مرحة .. بقدر الإمكان متظاهرًا بالجدية .. كما .. اعتاد معهم دائمًا ..

ولكنها خرجت على العكس تمامًا ..

فقد خرجت على الرغم منه .. فى منتهى الجدية ..

ولم يدر لذلك سببًا واضحًا ..

ولم يغضب منه .. صديقاه ..

وسرعـان ما شرع بالنـداء على (منصـور) .. للخروج من هذا الموقف ..

و(منصور) هذا .. هو رئيس قسم التمريض .. والمشرف العام .. على جميع الممرضين .. والممرضات .. فى هذا القسم ..

فأجابه (منصور) على الفور ..

سيما وقد كان هذا الأخير يقف خلفه تمامًا ..

أمرك يا دكتور ..

فسأله هذا الأخير :

كم .. جراحة .. لدينا اليوم ..؟

فأجابه (منصور) فى تردد :

المفروض .. أربعون جراحة .. ثم استدرك بأقصى سرعة ..

ولكننا استطعنا .. خفض العدد ..

إلى خمس وعشرين اليوم .. فقط ..

فقال (إبراهيم) .. فى دهشة ممزوجة بالغضب :

يا إلهى .. كل هذا العدد .. اليوم فقط ...

فأجابه (منصور) فى خوف :

نعم .. يا دكتور ..

وفى تلك الأثناء .. حضر أحد المرضى ..

رجل عجوز .. طاعن فى السن .. بلغ من الكبر عتيًا .. بحق .. حتى أنه من شدة نحولته .. وانحناء ظهره .. وجسده الذى لم

Looloo
www.looloolibrary.com

يصبح سوى جلد .. على عظم .. لتعتقد أنه جاوز الألف عام بحق .. يتكئ على عصا خشبية .. ذات قاعدة .. رباعية ..

يداه تنتفض .. مثل ورقة شجر .. فى مواجهة .. ريح صرصر عاتية ..

وبصوت واهن .. ضعيف .. متوسلاً .. راجيًا .. والدمع يتكون .. ويترقرق .. فى عينيه بحق .. قال :

أرجوك .. يا دكتور (إبراهيم) .. إن جراحتى كانت من المفترض أن تكون اليوم ..

ولكنهم قاموا .. بتأجيلها إلى الغد ..

واستطرد كلامه .. متسائلاً :

ولست أدرى .. لماذا ..؟

ولست أدرى .. من المتسبب فى ذلك ..؟

ولست أدرى .. من صاحب المصلحة فى ذلك ..؟

ورفع ذلك المريض عينيه .. إلى وجه الدكتور (إبراهيم) ..

ويا ليته .. ما فعل .. فقد وجد (إبراهيم) .. ينظر إليه ..

من أسفل إلى أعلى .. ومن أعلى إلى أسفل ..

نظرة لا تعنى سوى شىء واحد ..

ماذا تريد من الدنيا .. أيها العجوز الميت ..؟

لقد عشت فى هذه الدنيا .. أكثر مما ينبغى ..

وطعنته هذه النظرة .. فى الصميم .. أو بمعنى أدق ...

لقد أصابت قلبه المريض على الفور ..

ولم تكتف بجرحه .. بل أدمته .. أدمته إلى أقصى حد ممكن ..

ولم يحتمل هذا الرجل العجوز .. هذه الإهانة ..

فبكى على الفور ..

وشرع .. يبكى .. ويبكى ..

ويبكى .....

ثم قال أخيرًا وبصعوبة من شدة بكائه .. ومن بين دموعه :

أرجوك يا دكتور (إبراهيم) .. أريدك أن تجرى لى جراحتى اليوم ..

فأنا أشعر بأنى لن أعيش إلى الغد ..

وهنا صرخ (منصور) :

(أمل) .. (أمل) ..

وحضرت هذه الأخيرة على الفور ..

والتى لم تكن سوى مجرد ممرضة فى هذا القسم ..

ثم قال لها (منصور) آمرًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

خذى .. عم (إسماعيل) .. إلى غرفته ..

حتى تحين ميعاد جراحته ..

وأمسكت (أمل) .. يده .. لتعينه على العودة إلى غرفته ..

ولكنه وقف فى ثبات وإصرار .. تعجبت لهما (أمل) .. وبشدة .. ثم قال متوسلاً :

أرجوك .. يا دكتور ..

فقال له (إبراهيم) :

أعدك .. يا حاج (إسماعيل) ..

إن انتهينا .. من إجراء كافة العمليات .. والجراحات .. اليوم .. قبل الموعد .. المحدد .. سأجرى لك جراحتك ..

ثم استطرد (إبراهيم) قائلاً :

والآن .. هيا .. اذهب إلى غرفتك .. إلى حين ..

فقاطعه (إسماعيل) ..... وقد تجدد الأمل فى قلبه المريض :

كلا .. سأنتظرك .. هنا ..

فقال له (إبراهيم) فى نفاد صبر :

يا عم (إسماعيل) .. اذهب الآن .. وسوف ...

فقاطعه (إسماعيل) مرة أخرى :

كلا .. سأنتظرك .. هنا .. يا ولدى ..

ثم قال هذا الأخير .. فى ثقة :

فأنا أشعر .. بأنك لن تكذب على يا ولدى ..

ثم رددها مرة أخرى .. وهو يتخذ طريق العودة مع (أمل) ..

ليجلس على أحد الكراسى .. فى تلك الصالة التى تعج بالمرضى ..

لن تكذب على أبدًا ... يا ولدى ..

وجلس على أحد الكراسى .. بمساعدة (أمل) ..

وهنا قال (إبراهيم) :

هيا .. بنا .. إلى العمل ..

وسرعان ما أحضروا أول حالة ..

وشرع الجميع ....

فى العمل ...

بمنتهى النشاط .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصل الخامس

لم يكتف .. عم (إسماعيل) .. بما حدث .. ولا بالوعد الذى حصل عليه .. من أكبر الأطباء .. الدكتور (إبراهيم) ..

فسأل (أمل) .. والدموع لم تجف من كلتا عينيه بعد :

هل تعتقدين .. أن الدكتور (إبراهيم) .. سيقوم بإجراء الجراحة لى اليوم .. يا بنيتى ..؟

فأجابته على الفور :

لا تقلق يا عم (إسماعيل) .. ثم أردفت فى ثقة :

إن الدكتور (إبراهيم) .. إذا وعد .. صدق ..

فهو لا يكذب .. لأنه لا يحتاج إلى الكذب .. لأنه باختصار .. لا يخشى ثمة أحد .. فى هذا الكون كله .. إلا الله (سبحانه وتعالى) ..

فقال لها (إسماعيل) :

ونعم بالله يا بنيتى .. ونعم بالله العظيم ..

ثم طبطب .. على يدها .. فى مودة قائلاً :

شكرًا لكى .. يا بنيتى .. شكرًا لكى ..

فقالت له :

لا شكر .. على واجب .. يا عم (إسماعيل) .. ثم أردفت فى رجاء :

ولكن .. أرجوك .. لا تحرمنى من فضل دعواتك ..

أيها الرجل الطيب .. فقال لها داعيًا :

ربنا يعطيكى .. ما تتمنيه .. ويجبرك .. من شر المرض .. يا بنيتى .

* * *

فقالت له مبتسمة :

آمين .. يا عم .. (إسماعيل) .. آمين ..

ثم طبطبت على يده شاكرة إياه .. على دعواته لها :

شكرًا .. لك .. يا عم (إسماعيل) .. شكرًا لك ..

ثم انصرفت .. ولكنها تذكرت أمرًا فسألته :

ولكن .. أين أهليتك ..؟

أو أى أحد من أقاربك .. يا عم (إسماعيل) ..؟

فأجابها بكل بساطة :

كلا .. يا بنيتى .. ليس لى أقارب .. أما عن أهليتى ..

فقد مات ولداى .. وحبيباى .. وفلذة كبدى .. الاثنان ..

فى حادث مروع على الطريق .. حال ذهابهما يومًا إلى أحد الرحلات .. وهما فى عز شبابهما ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ولم تتحمل .. أمهما الصدمة .. فلم تعش طويلاً بعدهما ..

وسرعان ما ماتت قبل أن يحول الحول .. على وفاتهما .. وعشت أنا بمفردى فى هذه الدنيا .. على ذكراهم جميعًا .. حتى الآن ...

وكم دعوت الله العظيم كثيرًا .. بأن ألحقهما .. وبت ليالى كثيرة طويلة .. أبكى فراقهم .. جميعًا ..

ولكنه سبحانه .. لم يشأ .. حتى الآن ..

وأراد لى أن بأن أصل إلى .. أرذل العمر ..

أتدرين يا بنيتى ....!!

ربما كانوا معهم كل الحق فى تأجيل عمليتى .. فحتى .. لو نجحت جراحتى .. إلى من سأعود ..؟

لماذا سأعيش ...؟

ربما آن الأوان .. لكى أرضى .. بما قسمه الله العظيم سبحانه لى ..

أتدرين يا بنيتى .. أن الدكتور (إبراهيم) معه الحق .. بل كل الحق ... فأنا لا أستحق عناء إجراء تلك الجراحة .. سواء من حيث الوقت .. أم من حيث المجهود ..

فقالت له (أمل) :

لا تقل ذلك يا عم (إسماعيل) ..

ثم شرع يكلم نفسه بعد أن أغلق عينيه .. واتكأ بظهره .. على ظهر الكرسى :

راض .. يا رب .. راض .. يا رب ..

راض بما قسمته لى .. راض يا حبيبى .. ومولاى .. ماض فى حكمك .. عدل فى قضاؤك .. جل ثناؤك .. وتعالى شأنك ..

وشرع يكرر .. ويردد ويتمتم بتلك الكلمات ..

لا إله إلا الله . محمد رسول الله ..

لا إله إلا الله . محمد رسول الله ..

وقد نسى وجود (أمل) تمامًا .. وترقرق الدمع فى عينى (أمل) ..

على حال هذا الرجل المسكين .. البائس ..

وكم تمنت فى هذه اللحظة .. أن تنحنى .. وتقبل كلتا يديه .. وتصرخ .. وتخبره .. فلتعتبرنى منذ الآن .. مثل ابنتك .. بل خادمتك لو أردت ..

ولكنها .. ولكثرة الناس الموجودة بصالة المرضى ..

استحت .. وذهبت .. وقررت فى داخل نفسها ..

أن تعتنى بذلك الشيخ .. إلى أقرب الأجلين .. سواء كان أجلها .. أم أجله ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى داخل غرفة الجراحة .. شرع الأطباء .. ومعهم الممرضون المساعدون .. يعملون .. ويعملون ..

ويعملون ..

وفى نهاية اليوم .. وبعد انتهاء جميع العمليات .. وكان ذلك بعد صلاة المغرب بقليل .. خرج الجميع من غرفة العمليات .. بسلام ..

وهنا قال الدكتور(خليل) فى دهشة :

انظروا .. وهو يشير بيده نحو عم (إسماعيل) ..

والذى كان يبدو عليه .. الاستغراق الشديد فى النوم ..

لدرجه أن عصاته .. قد سقطت من يده .. أرضًا ..

فقال (إبراهيم) :

الحمد لله .. أنه قد استغرق فى النوم ..

وهنا حضرت (أمل) .. ونظرت إلى الأطباء .. وشرعت فى .. إيقاظه ..

فهمس لها (إبراهيم) :

اتركيه يا (أمل) اتركيه .. أيتها اللعينة ..

وهزته .. مرة .. ومرة .. ومرات بلا فائدة ..

فوضعت يدها .. على جانب رقبته .. وهنا أدركت الفاجعة .. بصفتها ممرضة خبيـــرة .. فى هذا المجال .. فقد أدركت .. أنه قد مات .. جالسًا فى مكانه .. على ذات الكرسى كما هو .. والذى لم يتحرك منه .. أدنى حركة ..

فقالت وهى تنظر نحو لفيف الأطباء :

يبدو .. أنه قد مات ..

وترقرق الدمع فى عينيها على الفور .. واتجه إليه الدكتور (مراد) ..

وشرع يفحصه .. مع الدكتور (خليل) .. ولم يتحرك الدكتور (إبراهيم) من مكانه .. ولم يبرح موضعه ..

وتيقن الطبيبان من موته ..

فأعلناه على الملأ .. بكل صراحة ..

وهنا شرعت (أمل) .. تبكى .. وتبكى .. بكل قوة ..

وهى تتذكر حواره .. وكل كلمة تبادلتها معه ..

وتذكرت رضاه .. بقضاء الله سبحانه وتعالى ..

قبل موته ..

وشاهدت سقوط عصاه أرضًا .. وتذكرت قصة سيدنا .. (سليمان) .. عليه السلام ..

Looloo
www.looloolibrary.com

حيث لم يعرف ثمة أحد .. وخاصة الجن .. بموته ..

إلا عندما سقطت عصاته .. من يده ..

وقال لها (منصور) :

ماذا تفعلين .. تبكين عليه ؟!.. وكأنه من بقية أهلك ..

وهنا قال (إبراهيم) فى برود :

(خليل) .. (مراد) .. هيا بنا ..

إجراءات الوفاة .. وتصريح الدفن ليست من اختصاصنا ..

وانصرف الجميع .. بلا استثناء .. ما عدا الدكتور (شريف) .. و(أمل) ..

وعاد الجميع إلى منازلهم ..

وكأن شيئًا لم يكن ..

* * *

الفصل السادس

عاد الدكتور (إبراهيم) إلى بيته ..

وسرعان ما قامت زوجته الحبيبة .. بتحضير طعام الغذاء له ..

فهو مهما حدث لا يأكل .. إلا من يدها .. فى بيته .. مع زوجته .. ونجليه ..

ولا يلجأ إلى الطعام فى الخارج .. إلا فى الظروف القصوى .. أو الطوارئ ..

وحضر نجليه الحبيبين .. واستقبلهما بحفاوة .. وترحاب شديدين ..

وشرع الجميع يأكل فى صمت .. على الرغم من أن الطفلين .. قد حصلا على طعامهما .. فى الميعاد المعتاد تمامًا .. وهو قبل الثالثة مساءً ..

ولكنهما جلسا على مائدة الطعام ..

للجلوس مع والدهما .. وليس لمجرد الطعام ..

وكان (إبراهيم) يأكل بسرعة .. حتى ينام ساعة أو أكثر ..

قبل ذهابه إلى العيادة ..

وترك الجميع .. وصعد إلى غرفته فى الطابق الثانى ..

وكانت حوالى الساعة الثامنة إلا ثلث .. مساءً

Looloo
www.looloolibrary.com

وأمر زوجته بإيقاظه فى التاسعة مساءً ..

ولم يبذل مجهودًا كبيرًا .. أو ثمة عناء فى النوم .. فالمجهود الذى قام ببذله طوال اليوم .. كان كافيًا ..

لأن ينام على الفور .. بمجرد وضع رأسه .. على وسادته المفضلة ..

وفى التاسعة مساءً .. كانت زوجته .. الحبيبة ..

تقوم بإيقاظه .. بقبله حانية .. على وجهه ..

كما اعتادت معه دائمًا ..

فتململ .. فى سريره .. وتثاءب بقوة ..

فقبلته قبلة أكثر حنانًا وهى تقول :

هيا أيها الكسول .. إن مرضاك فى انتظارك ..

فقال لها بصوت ملؤه النوم :

أشعر وكأنى كالدابة .. المربوطة فى الساقية ..

لا هى تستطيع الوقوف عن الدوران ...

ولا يقدر ثمة أحد .. على إيقافها عن الدوران ..

فقالت له فى حنان :

لا تقل ذلك .. ألا تكفيك زوجتك حبيبتك ..

وأولادك .. أحباؤك .. ومرضاك .. الذين بفضل الله سبحانه وتعالى .. أنت سبب شفائهم .. فى هذه الدنيا ..

والذين يدعون لك .. بعد تماثلهم للشفاء ..

وفى تلك اللحظة .. كم تمنى أن يروى لها قصة الرجل العجوز ..

ولكنه وجد نفسه .. قد تأخر كثيرًا .. على ميعاد عيادته ..

ولا يوجد ثمة وقت لهذا .. فضلاً عن أنه يعرف زوجته جيدًا .. فقد تتهمه هو بقتله ..

وأمرها بتحضير قهـوته المفضلة .. لحين الحصـول على دش دافئ سريع ..

لاستعادة قوته .. ونشاطه .. ولإخـراج رائحـة غرفة العمليات .. من جلده .. وجسده ..

وتغاضى .. وتجاوزعن هذا الموضوع ..

وبعد حوالى ثلث ساعة تقريبًا ..

كان قد انتهى من الاستحمام .. وارتداء ملابسه ..

وكان متأنقًا كعادته .. مثل أحد نجوم الفن اللامعين .. المشهورين ..

وفى خلال دقيقة واحدة .. كان يجلس على المائدة فى الطابق السفلى .. ليتناول .. ويرتشف قهوته بهدوء ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى الدقيقة التالية كان قد انتهى منها ..

وودع زوجته .. وأطفاله .. كالعادة .. بالقبل .. والأحضان .. فهذا شىء مقدس له فى هذا البيت ..

وركب (إبراهيم) سيارته .. من الخلف كالمعتاد ..

وألقى التحية على (سعيد) سائقه الخاص :

السلام عليكم .. يا (سعيد) .. كيف حالك اليوم ..

وأدرك هذا الأخير .. بأنه ما دام الطبيب .. قد قال وتكلم معه بأكثر من ثلاث كلمات ..

فإن مزاجه معتدل .. إلى حد ما ..

فقال السائق بدون خوف :

العيادة .. يا دكتور ..

فأجابه هذا الأخير .. باقتضاب :

بالتأكيد .. ثم أمال هذا الأخير رأسه إلى الخلف ..

وهو يشعر بالإنهاك .. الشديد ..

وأخرج من جيبه شريط فيتامين .. يحتفظ به دائمًا للظروف مثل هذه ...

وسرعان ما تناول أحدها .. وشرب خلفها شربة ماء ..

ووصل الاثنان إلى العيادة .. فى حوالى الساعة العاشرة والنصف مساءً .. تقريبًا ...

متأخرون عن ميعاد العيادة .. بحوالى نصف ساعة كاملة ...

وقام السائق بركن السيارة .. فى مكانها المعتاد ..

وأصاب (إبراهيم) .. الضيق .. بسبب تأخره الشديد هذا ..

فالمستشفى .. الخاص به .. والعيادة .. مقدسان بالنسبة له إلى أقصى درجة ...

وما أن نزل هذا الأخير من السيارة ..

حتى فوجئ بأحد الأشخاص .. يسلم عليه ثم يقول له بلهجة شبه متوسلة ...

السلام عليكم .. يا دكتور ..

فأجابه هذا الأخير بنفاد صبر :

وعليكم السلام .. من أنت ..؟ ماذا تريد ..؟

وحاول السائق إبعاده ..

ففوجئ بذلك الشخص يقول له :

أرجوك يا عم .. (سعيد) .. انتظر .. أريد أن أتحدث مع الدكتور ..

Looloo

وفوجئ الاثنان بأنه هذا الشخص الغريب يعرف اسم السائق .. ولكن ذلك لم يوقفه ..

إذ قال هذا الشخص الغريب بسرعة :

خشية ضياع هذه الفرصة الثمينة .. بالتحدث مع الدكتور (إبراهيم) شخصيًا :

أرجوك .. يا دكتور .. أتوسل إليك ..

إن أمى مريضة بالقلب .. وليس لى سواها فى هذه الدنيا .. ولقد حاولت مع الممرض فى عيادتك ..

فقال لى أن أول حجز بعد أربعة أشهر .. مع دفع نصف الكشف مقدمًا ..

وذهبت إلى المستشفى الخاص بك .. فأخبرونى بأن أول ميعاد للحجز .. بعد مرور شهرين .. مع دفع نصف الكشف مقدمًا أيضًا ..

ثم أردف فى توسل :

أرجوك يا دكتور .. أتوسل إليك .. اقبل كشفها اليوم أو حتى الغد ..

فهى طريحة الفراش .. وأخشى عليها .. من الموت ..

وأن أكون بإهمالى أنا المتسبب فى هذا ..

فأجابه (إبراهيم) بنفاد صبر :

وهل أخبرك الممرض ..؟

بأن هناك كشف مستعجل ...

بضعف ثمن الكشف العادى ..

الشخص الغريب :

أقسم لك يا (دكتور) .. لو أنى أمتلك هذا المبلغ .. لقمت بدفعه على الفور .. دونما .. توسل .. أو رجاء .. أو إراقة لماء الوجه ..

فقال الدكتور منهيًا الحديث :

فلتذهب إلى طبيب آخر إذن .. ثم انصرف ..

فقال الشخص الغريب فى .. حزن شديد وقد ترقرق الدمع فى عينيه :

أهذا ... آخر كلامك أيها الـ ... طبيب ..

فلم يجبه (إبراهيم) .. وتوجه مباشرة إلى عيادته ..

فقال له الشخص الغريب بأعلى صوته :

إن ماتت ستكون أنت السبب .. فلم يجبه (إبراهيم) هذه المرة أيضًا .. وأكمل طريقه إلى عيادته ..

فجلس هذا الشخص الغريب .. على الرصيف .. على جانب الطريق .. وشرع يبكى .. ويبكى .. ويبكى ..

وهو يشعر بالعجز .. والإهانة .. والضياع

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم رفع رأســه إلى السماء .. متوجهًا إليــه سبحانه وتعالى بالدعاء والرجاء :

ليس لى ســواك .. أيها الطبيــب الأعلى .. أيها الشافى .. المعافى .. المداوى ..

ورمى أحماله وأثقاله عليه .. سبحانه وحده لا شريك له ...

وعاد يجر أذيال الخيبة .. وهو يلعن الطب .. والأطباء .. وبصق على هذا الطبيب اللعين .. وعاد إلى منزله متخاذلاً ..

يتقدم خطوة .. ويؤخر أخرى .. وهو يدعوه سبحانه .. أن يعود إلى البيت فيجدها .. موجودة .. على قيد الحياة ..

وعاد إلى مسكنه .. وما أن وصل إلى هناك .. حتى شاهد الدموع .. وعلامات الأسى .. والحزن .. والوجوم .. على وجه زوجته الصبورة ..

فأدرك على الفور ما حدث ..

فانطلق مهرولاً .. إلى غرفة والدته .. الحبيبة ..

فوجدها .. مسجاة على ظهرها ..

وقد فارقت الحياة ..

وارتاح جسدها .. وقلبها .. من آلام الحياة ..

وهذه الدنيا .. المأفونة ..

فارتمى على أحضانها .. ودفن وجهه .. فى صدرها ..

وهو يصرخ .. أمى .. أمى .. أمى ..

ثم شرع يبكى ..

ويبكى .....

ويبكى .....

ويبكى ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصل السابع

صعد (إبراهيم) .. إلى عيادته .. وانطلق كالسهم .. إلى غرفته .. ووقف الممرض (سمير) احترامًا .. وتبجيلاً له .. وسرعان ما قام هذا الأخير .. بفتح باب الغرفة .. له .. ودون أن يلتفت الطبيب إلى ثمة أحد .. من مرضاه .. الذين تكتظ بهم العيادة .. دخل إلى غرفته مباشرة .. وجلس على كرسيه الخاص به ..

وسرعان ما قال (سمير) :

هل أخبر الدكتور (مصطفى) بوصو ... فقاطعه (إبراهيم) على الفور :

أريد كوبًا .. من النسكافيه .. بسرعة ..

وساعتها .. أدرك (سمير) بأن (الطبيب) .. ليس فى مزاجه المعتاد .. فاتصل بـ (سعيد) السائق .. وأنكر هذا الأخير معرفته بأى شىء .. بناء على تعليمات (إبراهيم) .. ودق الدكتور (مصطفى) الجرس الخاص به .. فذهب إليه الممرض الثانى (أمير) .. وسأل (مصطفى) عن الدكتور (إبراهيم) .. فأجابه الممرض بأن الطبيب قد وصل .. ولكنه ليس فى حالة مزاجيه .. معتدلة .. و(مصطفى) .. هذا .. أحد تلاميذ الدكتور (إبراهيم) .. النجباء .. والذى تبناه الطبيب .. الكبير .. ليصبح مساعده

الحالى .. وامتدادًا له فيما بعد .. وطلب هذا الأخير من (أمير) .. أن يخبره .. عند دخول أول كشف لدى الدكتور ..

فى تلك الأثناء كانت أعصاب الدكتور (إبراهيم) .. قد التهبت إلى أقصى مدى لها .. فذلك الشخص الغريب .. اللعين .. الذى قابله بالأسفل .. قد عكر صفو مزاجه .. بل والأدهى من ذلك .. بأن ذلك اللعين .. قد اتهمه .. زورًا .. وبهتانًا .. بأنه ينسب إلىّ'ه .. موت أمه .. وكأنه هو ملاك الموت .. قابض الأرواح .. أنه ليس إلهًا .. ليكون سببًا .. فى موت أحد .. أو حياة أحد .. نعم ربما يكون سببًا .. ولكن فى النهاية .. ما شاء الله سبحانه كان .. وما لم يشأ به .. لن يكن .. مهما حدث .. فهو فى النهاية ليس إلا طبيبًا بشريًّا عاديًّا .. حتى وإن كان طبيبًا .. غير عادى .. أو فوق العادى .. أو حتى أعظم الأطباء .. فمهما حدث فهو لن يستطيع دفع الموت .. عن أى أحد .. أى أحد .. بلا استثناء .. إنه لن يستطيع دفع الموت حتى عن نفسه .. فكيف إذا تعلق هذا الموت بغيره .. ولم يدهشة أن يعرفه ذلك الشخص .. الغريب اللعين هذا .. فهو ليس نكره .. فى هذا البلد .. وفى تلك اللحظة .. قطع حبل أفكاره .. صوت طرقات خفيفة .. على باب غرفته .. طرقات مميزة لرجل العيادة الأول (سمير) ، الذى فتح باب الغرفة .. ثم وضع صينية نظيفة .. أنيقة .. عليها ما طلبه الطبيب .. وبجوارها كوب من الماء .. سرعان ما اختطف الطبيب هذا الكوب من الماء .. وتجرعه دفعة واحدة .. فقال له (سمير) مبتسمًا :

بالهناء .. والشفاء .. ثم استطرد قائلاً :

Looloo
www.looloolibrary.com

هل أحضر لك كوبًا آخر ..؟

فأومأ (إبراهيم) برأسه دلالة على الموافقة ..

فهرع (سمير) بالكوب .. الفارغ .. وما هى إلا أقل من دقيقة .. إلا وكان هذا الأخير فى الغرفة .. ومعه كوب الماء الثانى .. وشرب الطبيب نصفه .. ثم تركه ..

فقال (سمير) مبتسمًا :

هل أحضر أول كشف .. أم ..؟

فنطق الطبيب أخيرًا قائلاً :

عندما أدق الجرس .. أحضر لى أول كشف ..

فترك (سمير) .. ملفًا .. به كل بيانات المريضة ..

الحالة الأولى .. فى العيادة .. بل وبيانات المرافق لها .. وهو زوجها بالطبع .. وانصرف هذا الأخير .. وترك الطبيب .. مسترخيًا .. فى كرسيه .. ونظر (إبراهيم) إلى علبة الدواء المهدئ الخاص به .. فى تردد .. هل يأخذ منها .. أم لا ؟ ، وأخيرًا .. لا آخرًا .. حسم أمره .. وتناول قرصين من دوائه .. ثم تجرع النصف الباقى من كوب الماء .. واستعاذ هذا الأخير بالله العظيم من الشيطان الرجيم .. وشرع يحاول نسيان ما حدث .. وكأنه لم يحدث .. وشرع يحاول تهدئة نفسه رويدًا .. رويدًا .. وهو يشرب مشروبه المفضل فى العيادة .. سيما وأن هؤلاء المساكين .. بالخارج ليس

لهم أدنى ذنب فيما حدث .. واستغرق منه الأمر .. حوالى ربع ساعة كاملة .. وهو الذى لم يحدث من قبل أبدًا .. أبدًا .. حتى أن أحد المرضى قد تجرأ وقام من مكانه .. ثم سأل (سمير) فى همس :

هل يوجد ثمة أحد مع الطبيب بالداخل ..؟

فأجابه الأول فى استهجان واستنكار :

وهل شاهدت ثمة أحد يدخل إليه ..؟

فقال المريض : لماذا تأخر إذن .. طوال هذا الوقت ..؟

الممرض :

لا تقلق .. مجرد دقائق .. ويطرق الطبيب الجرس كالمعتاد .. ولم يكد ينتهى هذا الأخير من جملته .. حتى دق الطبيب الجرس .. فقال (سمير) فى فرحة لم يدر لها سببًا واضحًا :

أستاذ (فاضل) .. وحرمه .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصل الثامن

دخل الأستاذ (فاضل) .. وحرمه .. إلى غرفة الدكتور (إبراهيم) .. وهو فى غاية النشوة .. والسعادة .. وذلك بعد طول انتظار .. رغم علمه المسبق بما سيحدث .. وبعد تبادل السلامات .. والتحيات .. وعبارات المجاملة الرقيقة .. جلس الزوجان .. على الكرسيين .. المواجهين لمكتب الطبيب .. وكان الزوج رجلاً .. مهيبًا .. وقورًا .. خط الشيب فوديه .. ويعمل موجهًا فى اللغة العربية .. وحاول الزوج أن يشرح حالة زوجته (سهير) .. أو لنقل .. لقد حاول ..

فما أن قال الزوج :

فى الحقيقة .. لقد بدأ .. الأمر منذ حوالى ستة .. فقاطعه الطبيب بكل جدية :

هل أنت المريض .. أم هى ..؟

فأجابه الزوج ووجهه .. يكاد ينفجر من شدة الخجل :

هى المريضة .

فقال الطبيب فى بساطة .. وقـد اعتاد هذا الأمر : إذن دعها هى تتكلم وتشرح حالتها .. بالضبط ..

وعلى الرغم من هذا الأسلوب الفج .. والذى لم يعتده الزوج .. وحالة الخجل التى أصابته آنذاك .. إلا أنه تجاوز .. عن هذا الأمر .. مضطرًا ..

وشرعت هى تتكلم .. وتحكى .. وتروى كل ما حدث لها .. بالضبط .. وما تبع ذلك .. من كشوفات .. وتحاليل .. وأكثر من رسم للقلب .. فى الملف البلاستيكى الذى تحمله ..

فقال الطبيب :

اعتقد أننا سنحتاج إلى إجراء كشف .. باستخدام جهاز (الإيكو) .. وبالطبع فإن هذا الجهاز .. هو أحدث أجهزة العصر للكشف .. على جهاز قلب الإنسان بالكامل .. وبلهجة آمرة اعتادها الطبيب .. أيضًا .. قال : قومى .. يا مدام (سهير) .. ونامى على السرير الصغير .. خلف هذه الستارة ..

وقامت (سهير) وهى تنظر إلى زوجها .. بشىء من الخوف ..

قال الطبيب كل ما قاله .. وكأنه يقول شيئًا عاديًا .. بسيطًا .. معتادًا .. مثل السلام عليكم .. أو صباح الخير .. أو مساء الخير ..

ولم يكن يدرى ما أصاب الزوج سالف الذكر .. آنذاك .. لقد شرع هذا الرجل .. يذهب إلى هنا .. وهناك .. ويدور .. ويدور .. حتى يتفادى ذلك الكشف اللعين .. المدعو (الإيكو) .. لقد قال الطبيب .. ما قاله .. ولم ينظر إلى الزوج .. بل ولم يعره ثمة اهتمام .. والذى كاد وجهه ينفجر من

Looloo
www.looloolibrary.com

شدة الغيظ .. وهو يعلم بأن زوجته تتعرى الآن .. من أجل إجراء ذلك الكشف اللعين .. لقد أخبره الأطباء .. بذلك .. من قبل .. ولكنه حاول تفادى ذلك بشتى الطرق .. ولقد ارتفعت نبضات قلبه .. بكل قوة وعنف .. وشرعت يداه فى الارتعاش .. من شدة الغضب .. حتى أنه لقد شعر بأنه سيصاب .. بأزمة قلبية حادة .. آنذاك .. وأنه هو الذى يحتاج إلى كشف .. (الإيكو) .. لا زوجته .. ثم حدثت الطامة الكبرى .. بالنسبة للزوج المسكين .. هذا .. فقد قام الدكتور (مصطفى) .. بالطرق على باب الغرفة .. آنذاك .. ثم قام بالدلوف .. مبتسمًا .. وهو يقول :

كيف حالك .. اليوم .. يا أستاذى ..؟

فأجابه (إبراهيم) .. وهو يقف للسلام على تلميذه : بخير حال .. يا (مصطفى) ..

واستعجب .. الزوج .. من موقف الطبيب (إبراهيم) .. فهو لم يقف .. للسلام عليهما .. هو .. وزوجته . وهذا بالنسبة له .. ليس من أصول .. الذوق .. واللياقة .. أبدًا .. أبدًا .. حتى ولو كان أكبر وأعظم .. وأشهر .. أطباء العالم .. بأكمله .. وأدرك بأن هذا الطبيب .. مصاب بداء .. التكبر .. والغرور .. فى تلك الأثناء كان الطبيبان .. يتبادلان السلامات .. والأخبار .. واستعجب أكثر وأكثر .. عندما قال (مصطفى) .. مبتسمًا .

كيف حالك .. يا أستاذ (فاضل ..) ..؟

فأجابه الزوج فى تعجب :

بخير حال .. الحمد لله على كل شىء ..

وقال (إبراهيم) فى بساطة :

هل انتهيت .. يا مدام (سهير) ..؟

فأجابت بصوت .. قتله الرعب .. من زوجها : نعم ..

وسرعان ما قام الطبيبان .. وتوجها إلى حيث زوجته .. وجلس (إبراهيم) .. على الكرسى المواجه للجهاز .. وبالكاد .. استطاع الزوج .. أن يقوم من مقامه .. وقد شعر .. بأن شيئًا من الشلل .. قد بدأ يسرى فى أوصاله .. وأطرافه .. وهو يشاهد رجلين غريبين .. يقتحمان المكان .. على زوجته .. بحجة الطب .. والشفاء .. والفاجعة أنه حلال .. اللعنة .. وألف لعنة .. على الطب .. والأطباء الرجال بصفة عامة .. واللعنة .. وألف ألف لعنة .. على الطبيبات النساء .. وليصب الجحيم عليهم صبًا .. فقد بحث فى جميع أنحاء الجمهورية .. عن امرأة .. طبيبة .. يكون لديها هذا الجهاز .. ولكنه لم يجد .. فاضطر مجبرًا .. إلى الحضور إلى هنا .. ليشاهد بعينيه .. ما سيحدث الآن .. هل هذا التخصص بغاية .. الصعوبة والتعقيد .. إلى هذه الدرجه ..؟ بحيث لم يجد ثمة امرأة واحدة .. فى هذا المجال .. وأخيرًا .. وليس آخرًا .. قام هذا الأخير خلفهما .. ليشاهد .. ويراقب .. ما سيحدث .. ويا ليته .. لم يفعل .. ويا ليته .. ما فعل ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فقد دلف الزوج إلى .. ذلك المكان .. وشاهد الآتى ..

فقد قام الدكتور (إبراهيم) .. بالكشف على زوجته .. ثم قام الطبيب .. بوضع سائل هلامى (جل) .. على منطقة القلب .. ثم شرع هذا الأخير يدور .. ويضغط على منطقة القلب .. ونظر الزوج المقهور .. إلى عينى كلا الطبيبين .. منذ البداية .. وكم تمنى أن يقتل هذا الطبيب الشاب .. أو أن يضربه .. وكم تمنى أن يصرخ فى الدكتور (إبراهيم) .. لسماحه لهذا الشاب اللعين .. لوجوده فى الغرفة .. آنذاك .. ومشاهدة زوجته الحبيبة .. على هذا النحو .. وبدأ الدكتور .. يدور بهذه اليد .. مرة أخرى .. ذات اليمين .. وذات الشمال .. ومن فوق .. ومن أسفل .. وعينا الزوج تراقب يد الطبيب .. التى تلتصق .. بلحم وجسد زوجته الحبيبة .. وشعر بهذه اللمسات .. وكأنها طعنات دامية فى قلبه .. وشعر برغبة عارمة .. فى إفراغ ما فى جوفه .. وضغط على أسنانه أكثر .. وأكثر .. وهو يجاهد للتماسك .. وضغط بيده على فمه أكثر وأكثر .. حتى لا يخرج ما فى جوفه .. وفى تلك الأثناء كان الطبيبان .. ينطقان ببعض الجمل والمصطلحات العلمية الغريبة .. والتى لا تمت إلى اللغة العربية .. وربما اللغة الإنجليزية بأدنى صلة .. وجاهد .. وجاهد .. حتى لا تخرج .. دموعه . ، وجاهد .. وحاول .. وحاول .. وأخيرًا .. لم يستطع .. فترقرق الدمع فى كلتا عينيه .. ونزلت دموعه ساخنة .. حارقة .. كالحمم الملتهبة .. على كلا وجنتيه .. وكان هو فى ظهر الأطباء آنذاك .. فلم ..

يروه .. وكانت زوجته تتحاشى .. النظر إلى عينى زوجها .. بشتى الطرق .. وندت منها التفاتة إليه .. على الرغم منها .. وشاهدت دموعه الساخنة .. وهو مطأطأ الرأس .. مستسلم .. لا يملك من الأمر شيئًا .. وبدون اتفاق مسبق .. انهمرت دموعها منها على الفور .. فلم تتحمل رؤية دموعه .. أبدًا .. أبدًا .. سيما وهى تعلم .. أنها .. دموع حبه لها .. وغيرته عليها .. ومسح هو دموعه عندما أبصر دموعها .. وأبصر الدكتور (إبراهيم) دموعها آنذاك .. فرفع ذراع الجهاز .. على الفور .. وسألها فى جدية :

هل هناك ثمة شىء يؤلمك .. يا مدام (سهير) ..؟

فأجابته على الرغم منها :

كلا ..

فقال لها مبتسمًا .. ربما لأول مرة :

إن قلبك أمامى على الجهاز .. الله أكبر .. سليم وقوى .. ومعافى .. ثم قام .. وأعطاها .. بعض المحارم الورقية .. لكى تمسح السائل الهلامى من على صدرها .. ثم عاد هو و(مصطفى) إلى مكتبه مرة أخرى .. فقال الزوج بصوت متحشرج :

هيا .. ارتدى ملابسك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم خرج إلى الطبيب وسأله فى جدية :

أريد أن أطمئن .. على زوجتى .. يا دكتور ..

فأجابه الطبيب .. مبتسمًا مرة أخرى :

قلب زوجتك .. قوى جدًا .. مثل الحصان ..

وشرع هذا الأخير يكتب ورقة (روشتة) ، عليها بعض الأدوية .. والعلاجات اللازمة لها .. وخرجت (سهير) .. ووجهها يكاد ينفجر .. من شدة الخجل .. والحياء .. وسرعان ما قال الطبيب :

هذا العلاج لمدة ثلاثة أشهر .. ثم أراكى يا مدام (سهير) مرة أخرى .. وإذا .. لا قدر الله سبحانه .. تعبت فى أثناء .. تلك الفترة .. تعالى لتوقيع الكشف عليكى مرة أخرى .. فسألته وقد استطاعت النطق أخيرًا :

ماذا بى يا دكتور ..؟

فأجابها على الفور :

تعب .. وإنهاك .. ومجهود زيادة لا أكثر ..

ثم دق الجرس .. قائلاً :

هيا .. مع السلامة .

* * *

الفصل التاسع

نزل الزوجان .. الأستاذ (فاضل) .. وحرمه .. مدام (سهير) .. من العيادة إلى الشارع .. .. دون أن يتبادلا .. نظرة واحدة .. بل ودون أن يتبادلا كلمة واحدة .. ووقفا .. فى الشارع فى انتظار مرور .. إحدى سيارات الأجرة .. وبعد مرور حوالى نصف ساعة تقريبًا .. مرت سيارة .. واستقلاها .. متجهين إلى منزلهما .. وبعد الوصول .. قام الاثنان .. بتغيير ملابسهما .. ثم قامت .. هى بتحضير طعام العشاء .. وجلس الزوجان .. لتناول الطعام .. مع أولادهم .. ولم يتبادل الزوجان ثمة كلمة واحدة .. حتى الصباح ..

* * *

بالطبع ما إن دق الطبيب الجرس .. معلنًا .. انتهاء زيارة الكشف الأول .. حتى قال (سمير) الممرض .. إلى المستشار (صبرى) بك .. وحرمه :

هيا تحضرا ..

وما هى إلا دقيقة واحدة .. حتى خرج الزوجان .. والجميع .. ينظرون إليهما .. فى حقد وحسد .. واضحين .. سيما وأنهما كانا أول كشف فى العيادة كلها .. آنذاك ، ومن المعروف عن عيادة الدكتور (إبراهيم) .. أنها يمكنها السهر مع المرضى .. حتى مطلع الفجر .. واستأذن (سعيد) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

من الطبيب .. والذى طلب منه الانتظار .. مجرد دقائق .. ثم دق الطبيب الجرس .. دلالة على السماح للمريض بالدخول .. ودلف المستشار (صبرى) إلى الغرفة .. ومعه زوجته مدام (ريناد) .. وكان المستشار (صبرى) .. فى بداية العقد الرابع من عمره .. ولكنه يبدو أصغر من ذلك .. وسلم (صبرى) .. فى قوة وإعجاب واضحين .. على الطبيب وهو يقول فى صدق مستهلاً حديثه بالسلام :

السلام عليكم يا دكتور .. إنه لمن دواعى سرورى .. وإنه لفخر لجمهورية مصر العربية كلها .. أن تكون سيادتكم من بين أبنائها .. وشكره (إبراهيم) .. على ذلك .. سيما وقد اعتاد هذا الأخير .. سماع هذا الكلام المنمق .. من الجميع .. ولذلك كان استقباله لهذا الكلام .. بالنسبة لـ (صبرى) باردًا .. أو بمعنى أدق .. فى غاية البرود .. وسرعان ما وجه الطبيب كلامه إلى المريضة .. مدام (ريناد) .. وهو يسألها من جديد :

ممّ تعانين .. يا مدام (ريناد) ..؟

وكما حدث مع الكشف الأول .. .. حدث مع الكشف الثانى .. وهنا قال المستشار (صبرى) :

فى الحقيقة يا دكتور .. إن زو ...

فقاطعه الدكتور (إبراهيم) بجدية .. وقد أصابه الملل .. من هذا الأسلوب .. المتطفل من المرافق للمريض دائمًا :

معذرة يا .. معالى المستشار .. ثم استدرك قائلاً :

ولكنى أريد أن أسمع .. من المريض .. وكان الدكتور (مصطفى) موجودًا فى الغرفة آنذاك .. وشعر المستشار (صبرى) .. بأنه قد تلقى أكبر صفعة .. فى حياته .. فهو الذى لم يتعود إلا على الاحترام .. الأسلوب المهذب .. فى الحوار .. والطاعة .. ثم الطاعة .. ثم الطاعة .. طوال عمره .. يحدث معه هذا .. لماذا ..؟.. أمن أجل زوجته ؟.. هى السبب فى ذلك ..

اللعنة .. على جميع النساء .. فى جميع الأنحاء ..

أما (ريناد) .. فقد كانت تستخرج أوراق علاجها .. وجميع كشوفاتها الطبيه السابقة .. وأشعاتها .. من الملف الخاص بها .. بمجرد جلوسها .. على الكرسى المواجه للطبيب .. ثم حدث ما حدث من هذا الأخير .. مع زوجها .. وأبصرت حبيبها .. ودرّة .. عينيها .. وقلبها .. فقد نظرت إلى وجهه أولاً .. والذى يكاد ينفجر .. من شدة الغيظ الممزوج بالخجل معًا .. ثم نظرت إلى عينيه .. فلمحت ندى الدموع .. دموع الخجل فيهما .. وترقرق الدمع فى قلبها أولاً .. ثم انشطر قلبها .. ثانيًا .. النصف الأول يريد .. أن يتغاضى عما حدث .. وهو الكشف الذى تنتظره منذ شهرين كاملين .. بينما النصف الثانى رفض ذلك .. وأبى بكل إصرار .. وأخيرًا .. وليس آخرًا .. انفجر قلبها .. معلنًا رفضه الإساءة .. لزوجها .. وتوأم روحها .. وسيدها .. زوجها الذى لم يبخل عليها يومًا .. بمشاعره الفياضة .. أبدًا .. حنانه .. وكرمه .. واهتمامه .. وتفوقه .. وحرصه

Looloo
www.looloolibrary.com

عليها .. ودفاعه عنها .. حتى منصبه .. فهو عرشه .. فى هذه الدنيا .. الذى تجلس عليه هى بمفردها .. لا يشاركها .. فيه ثمة أحد .. وحتى فى حالة عدم الجلوس .. عليه .. فهى .. تستظل به .. وتحتمى بحماه .. فهو الغطاء .. وهو الجناح .. الذى تعيش فى ظلهما .. الآن .. بفضل الله سبحانه وتعالى عليها .. فضلاً .. عن أنه لم يسمح لثمة أحد فى الوجود كله .. منذ بداية زواجهما بالإساءة إليها ..

فكيف تسمح هى بذلك .. الآن .. كيف ..؟

وعلى الرغم من بعض الخلافات الزوجية .. العادية .. والطبيعية .. فى أى بيت .. بين أى شخصين متزوجين فى العالم .. كله .. بلا استثناء ..

وأخيرًا .. اتخذت قرارها .. وحسمت أمرها ..

وهنا كرر الدكتور (إبراهيم) سؤاله لها قائلاً بنفاد صبر :

مما تعانين .. يا مدام (ريناد) ..؟

فى تلك الأثناء .. كانت تحشو الملف الخاص بها .. بجميع أوراقها التى استخرجتها .. وبدون ترتيب بالطبع .. ثم قالت فى قوة ممزوجة بالشموخ والعزة والحفاظ على الكرامة :

معذرة .. يا دكتـــور (إبراهيم) .. ثم استطردت فى قـــوة أكبر : على الرغم من أنك أكبر وأشهر .. وأعظم .. أطباء القلب على الإطلاق .. ولكن أسلوبك الفظ هذا .. يجبرنا .. على عدم الرغبة فى الكشف لديك ..

وفوجئ الجميع .. بردة فعلها .. بلا استثناء .. سيما زوجها .. الذى أكلت دماغه .. من أجل الذهاب عند هذا الطبيب .. بالتحديد .. وفتح الزوج عينيه وفمه مذهولاً .. من كلام زوجته .. ولكن الصفعة الكبرى .. بحق .. كانت من نصيب الدكتور (إبراهيم) .. الذى فوجئ بهذا الكلام .. وبردة فعلها هذا .. وأسقط فى يده .. وأصابه لجام من الصمت الممزوج .. بالذهول .. ووقف الجميع .. إلا هو .. وشعر .. بحرج موقفه .. ولأول مرة فى حياته .. يشعر بهذا القدر العظيم .. من الخجل .. الممدود .. بلا حدود .. منذ سنين .. كثيرة .. مضت .. وفكر فى الاعتذار .. ونقول فكر ..

ولكن سيعتذر .. لمن ..؟

إليه .. إليها .. لماذا ..؟

.. وعن ماذا ..؟

ثم إن هذا الأمر .. لو تم اكتشافه .. والعلم به فى الخارج .. سيما أمام تلميذه (مصطفى) .. فإن ذلك سوف يهز صورته .. الذى استطاع أخيرًا .. أن .. وهنا أخرجه (مصطفى) .. تلميذه .. من حالة الذهول .. التى أصابت الجميع .. بصفة عامة .. والدكتور (إبراهيم) .. بصفة خاصة ..؟

حيث قال (مصطفى) :

معذرة يا مدام (رينـــ) ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وهنا صرخ (إبراهيم) فيه محتدًا .. غاضبًا .. وكأنما يفرغ فى هذا المسكين جام غضبه :

(مصطفى) .. اصمت ..

ثم استطرد .. وقد بلغ الغضب منه مبلغه :

ماذا تريدين الآن .. يا (مدام) ..؟

فأجابته فى تحدٍ :

نريد استرجاع ثمن كشفنا ..

وكم تمنى (إبراهيم) سبها .. شتمها .. الصراخ فيها .. أو حتى طردها من العيادة .. وأن يحول نقودها .. إلى طلقات نارية .. أو قنابل يدوية .. ثم يقوم بإلقائها .. فى وجهها ..

ودق (إبراهيم) الجرس .. على الفور .. فدخل (سمير) مهرولاً .. على الفور .. ثم قال له الطبيب بلهجة آمرة : أعط ثمن الكشف إلى المستشار .. وحرمه ..

وخرج الزوجان على الفور .. بدون سلام ..

وانصرف معهما .. (مصطفى) .. خشية من تقريع أستاذه له .. وتركوا الطبيب .. فى حالة بركانية نشطة .. وشرعت أعصاب يديه .. تنتفض .. وترتعش .. من فرط الغضب .. وابتلع قرصين مهدئين .. مرة أخرى .. وهو لا يشعر بما يفعل .. ثم أسند .. رأسه إلى الوراء .. محاولاً ..

الاسترخاء .. ثم وضع ذراعيه على المكتب .. ودفن رأسه ووجهه .. بين راحتيه .. أما الزوج .. فمنذ أن حدث ما حدث .. وقد أصابته الحيرة .. مما حدث .. أيفرح لأن زوجته .. حبيبته .. قد نصرته .. وردت إليه كرامته .. أم يحزن ويغضب .. لأنه خسر كشف .. لدى أكبر .. وأعظم الأطباء فى مصر كلها بحق .. ولم يتبادل الزوجان ثمه كلمة واحدة .. حتى وصلا إلى السيارة الخاصة بهما .. فى الجراج المخصص لذلك .. وساعتها .. وساعتها فقط .. نظر كلٌ منهما إلى الآخر .. نظرة تفيض بالحب .. والعشق .. والامتنان .. والشكر .. وترقرق الدمع فى عينى كلٌ منهما .. وانهمرت حانية .. على وجنتيهما .. ثم قَبَّلَ الزوج يدى زوجته .. ثم احتضنها فى حنان ممزوج بالقوة .. دون أن يبال بالناس .. ثم قال لها باكيًا :

لست أدرى .. هل أقول لك ..؟ أعشقك .. أم شكرًا لك .. لقد رفعتى رأسى .. ورددتى إلى كرامتى .. فقالت له وهى تحتضنه بذات القوة :

بل .. أعشقك .. فقال لها فى سرعة :

أعدك .. يا حبيبتى .. وأقسم لك بأننى ..

فابتعدت عنه فى سرعة :

ثم وضعت .. أناملها الرقيقة على شفتيه قائلة وهى تنظر إليه فى هيام :

أعلم .. أقسم لك بأننى .. أعلم .. ثم استطرد فى ثقة :

Looloo
www.looloolibrary.com

والذى خلق .. الدكتور (إبراهيم) .. خلق المئات مثله .. هيا بنا .. ثم قام بتشغيل محرك السيارة .. ثم انطلق بسيارته إلى منزلهما .. أو بمعنى أدق ..

إلى جنة الحب ..

الخالدة ..

* * *

الفصل العاشر

وقف الدكتور (إبراهيم) فى تلك اللحظة .. وقد شعر بلهيب الجلوس على كرسيه المفضل آنذاك .. وشرعت النار تستعر فى أعماقه .. أكثر وأكثر .. واصطلى جسده كله .. بلفحها .. من قمة رأسه .. وحتى أخمص قدميه .. وفى الوقت الذى كان (إبراهيم) فيه .. يروح ويجىء .. فى غرفته .. ويدور .. ويدور .. كالذئب المعقور .. وهو يفكر فى نفسه .. وفى كيفية الانتقام .. ورد كرامته .. التى امتهنت .. وانتهكت ..

وفى تلك الأثناء .. حدثت الفاجعة الكبرى .. أو بمعنى أدق .. حدثت الطامة الكبرى .. وكأنه كان ينتظر .. ما سيحدث له .. ففى تلك اللحظة .. وهو يفكر جديًا .. فى طرد كل مرضى العيادة .. بلا استثناء .. وليحدث .. ما يحدث .. حضر فى تلك الأثناء أحد المرضى .. وكان رجلاً عجوزًا .. بمعنى الكلمة .. حتى أن الوصف القرآنى .. بأنه قد بلغ .. من الكبر عتيًا .. كان قليلاً .. بالنسبة لسنوات عمره .. التى تجاوزت المائة .. بحق .. حتى أن من ينظر إلى عم .. (إسماعيل) من قبل .. ليظن بأنه .. نجله بالفعل .. وبالطبع فلم يحضر هذا العجوز بمفرده .. فقد حضر معه أربعة من الرجال .. الأشداء .. العتاة .. الأقوياء .. حتى إنك .. لتعتقد منذ الوهلة الأولى .. بأنهم قد جاءوا لتدمير .. وتحطيم العيادة .. لا لمجرد الكشف على الرجل المريض .. الذى كان بحوزتهم .. بل إن هذا الرجل العجوز .. كان مختفيًا .. بين أجسادهم الفارعة .. الفتية .. ولا أحد يدرى .. ما هى صلته بهؤلاء الرجال ..؟

Looloo
www.looloolibrary.com

هل هم .. أولاده ..؟ أحفاده ..؟

أم هم مستأجرون .. ولكن الكل أدرك بعد ذلك .. بأنهم .. أقرباؤه .. وبالتأكيد أبناؤه .. ومعهم أحفاده ..

فى البداية .. أجلسوا .. هؤلاء الأشداء .. الرجل العجوز .. الذى كان معهم .. وأجلسوه على أحد الكراسى المريحة فى العيادة .. فى منتهى .. الراحة .. والحنان .. وكأنهم ملائكة .. وليسوا .. بشرًا .. والكل ينظر إليهم فى خوف .. ورهبة .. أو بمعنى أدق .. كان الجميع .. يتهرب منهم .. خشية الاحتكاك بهم .. فأفسحوا .. لهذا العجوز .. مكانًا مريحًا على الفور .. وكان هؤلاء الرجال الأربعة .. يرتدون الملابس البلدية .. حيث كان كل واحد منهم يرتدى جلبابًا بلديًّا .. عاديًّا .. ولكنه ليس فى غاية النظافة والأناقة .. وكأنهم يعملون فى سوق الخضار .. أو وكأنهم .. قد حضروا للتو .. من عملهم .. واتجه هؤلاء الأربعة .. نحو (سمير) .. و(أمير) .. ونظر .. هذان الأخيران .. إليهم .. فى رهبة .. ممزوجة بالخوف .. ثم تحدث أكبرهم سنًّا .. بلهجة قوية جهورية واثقة :

نريد أن نحجز كشفًا لأبى .. الآن ..

فأجابه (سمير) .. وذلك بعد أن ابتلع ريقه .. من شده الخوف .. فالرجل الذى كان يتحدث معه .. وخلفه ثلاثة آخرين .. .. كان أقصر .. رجل فيهم لا يقل عن المترين طولاً .. فما بالك بالذى يتحدث معه .. والذى كان أطولهم وأشدهم بحق ؟

معذرة لا يوجد كشـــوفات الآن .. فأول كشف بعـــد .. فقاطعه .. هذا الرجل .. فى قوة ممزوجة بالعصبية الشديدة .. وهو يضرب بقبضته اليمنى .. بكل ما يملك من قوة .. سطح المكتب الذى كان يجلس عليه .. كلٌ من (سمير) .. و(أمير) .. وانتفض الأول .. فى قوة .. ونظر الثانى إلى سطح المكتب .. فوجد أثر قبضته .. على سطح المكتب الحديدى .. فآثر هذا الأخير الصمت تمامًا .. وترك (لسمير) .. الاستئثار بالحوار .. مع هذا .. العملاق .. الضخم .. فى ذات اللحظة التى مال فيها هذا العملاق .. على (سمير) قائلاً :

إن أبى .. مريض .. يحتضر .. ويجب توقيع الكشف عليه الآن ..

فأجابه (سمير) .. وهو يبتلع ريقه للمرة الثانية .. وهو ينظر بطرف عينه .. إلى الرجـــال الثلاثة .. الآخرين .. الذين يقفـــون فى استعداد .. وتحفز :

قلت لك .. إنه لا يوجد ..

فقاطعه الرجل العملاق قائلاً .. وهو يخرج من جيب جلبابه .. رزمة ممتلئة .. بالأوراق المالية .. فئة المائتى جنيه .. حتى أن البعض .. قدرها .. ربما بستين ألف جنيـــه .. بينما شرع البعض الآخـــر .. ينظر إلى جيوب باقى الرجال .. وهل هى منتفخـــة .. مثـــل الرجـــل الأول .. أم لا ..؟ كم تريد ..؟ ألف .. ألفين .. ثلاثة ..؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم وضع الرزمة كلها .. على سطح المكتب .. وهو يضربه مرة أخرى .. بقبضته اليمنى صارخًا .. و(أمير) ينظر .. بإشفاق إلى سطح المكتب .. الحديدى . الذى أصابه الالتـواء .. من قـوة الضربة الثانية : قلت لك إن أبى .. يحتضر .. ويجب أن يتم توقيع الكشف .. الطبى عليه الآن .. الآن .. هل فهمت .. أم لا ..؟

وقبل أن يجيبه (سمير) هذه المرة .. رفع هذا الرجل العملاق رأسه .. ثم تحدث إلى المرضى فى العيادة .. بأدب جم .. لا يتناسب أبدًا .. أبدًا .. مع مظهره .. وأسلوبه .. وملابسه :

أنا آسف .. آسف جدًا .. أيها السادة ..

واستدرك قائلاً : فى حزن شديد استعجب له الحاضرون .. ولكن أبى مريض جدًا جدًا .. كما ترون .. وأنا استأذنكم فى توقيع الكشف الآن على أبى ..

هل توافقون على ذلك ؟

فأجابه معظم الحاضرين بالموافقة .. بعضهم بالطبع حياءً .. وبعضهم خوفًا .. وبعضهم كنوع من الشفقة على هذا .. الرجل العجوز .. والذى يبدو عليه الاحتضار بحق ..

فى تلك الأثناء .. كـان الصـوت العـالى .. وصـوت الضربات على سطح المكتب الحديدى .. قد تناهت إلى سمع الطبيبين (إبراهيم) .. و(مصطفى) .. فخرج هذا الأخير أولاً .. ثم سرعان ما خرج الأول عقب

ذلك .. وكأنما قد وجد ضالته أخيرًا .. ومن سُيخرج فيه جام غضبه .. ويصبه عليه .. صبًا ..

وصرخ (إبراهيم) فى (سمير) .. بداءة :

ماذا يحدث هنا .. ما هذه الأصوات يا (سمير) ..؟

وابتلع هذا الأخير ريقه للمرة الثالثة .. ثم شرع فى الإجابة .. إلا أن هذا العملاق .. اتجه على الفور صوب الطبيب .. وحاول إمساك يده اليمنى .. فى البداية .. وهو يميل عليه .. لكل يقبل .. يده .. إلا أن (إبراهيم) .. سحب يده بأقصى سرعة .. فى ذات اللحظة .. التى مال فيها العملاق .. على يده لكى يقبلها .. قائلاً وندى الدموع فى عينيه : أرجوك .. يا دكتور .. إن أبى يحتضر بحق ..

أتوسل إليك .. أن تقوم بتوقيع الكشف الطبى اللازم عليه .. ونحن على استعداد لدفع .. ما تريد .. ثم استعاد .. رزمته المالية .. ورفعها أمام الطبيب الذى صرخ فيه بأقصى قوة :

من يريد شيئًا ... فليطلبه بأدب ..

وليس بالقوة .. وأكل حقوق هؤلاء المرضى المساكين ..

إن الأمر .. ليس عضلات .. وبلطجة ..

فقال العملاق .. فى ذهول : بلطجة .. أقسم لك يا ....

فقاطعه (إبراهيم) .. صارخًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ولمَ .. انتظرتم .. حتى وصل به الأمر إلى هذه الحالة ..؟

وحاول العملاق أن يقول ثمة شيء .. أى شيء .. إلا أن (إبراهيم) قاطعه صارخًا :

اخرج .. من العيادة .. اخرجوا جميعًا من العيادة .. هيا ..

وفى تلك اللحظة .. استفاق الرجل العجوز من غيبوبته .. وتمتم بكلمات .. غير مفهومة .. وعاد (إبراهيم) .. أدراجه .. إلى غرفته .. وصفق بابها .. خلفه .. بكل ما أوتى من قوة .. وطأطأ .. العملاق .. رأسه أرضًا .. ونظر إليه بعض المرضى فى عطف .. وإشفاق .. ربما أكثر اثنين .. قد تأثرا بهذا الموقف .. رجلان .. عجوزان .. صحيح أنهما لم يبلغا من العمر .. مثلما أوتى .. ومثلما بلغ هذا الرجل العجوز .. والذى ربما يكبرهما بأكثر .. من ثلاثين عامًا .. أو يزيد .. سيما .. وقد تخيلا .. نفسيهما .. فى هذا الموقف العصيب .. وشرعا يدعوانه سبحانه وتعالى .. سرًا .. بألا يصلا .. أبدًا .. فى يوم من الأيام .. إلى هذه الحالة .. وإلى تلك .. المرحلة .. بل وترقرق الدمع غزيرًا .. فى قلبيهما .. وفى انكسار .. ممزوج بالذل .. والمهانة .. عاد العملاق .. إلى أقربائه .. وحملوا .. والدهم .. فى حنان شديد .. وخرجوا من العيادة .. وهم يجرون أذيال الخيبة .. الجميل فى الأمر .. بالنسبة لأحد المرضى .. أنه أعجب بمسألة الكبير .. والتى حدثت أمامه الآن .. فالعملاق الذى تحدث كان يبدو عليه .. بأنه أكبر الرجال عمرًا .. ومع ذلك .. فلم .. يتكلم .. أو يتدخل .. ثمة أحد من المرافقين له .. فى الأمر .. رغم قدرتهم .. على ذلك .. بل لقد استعجب .. بحق .. من

ذلك .. وعلى السلم .. سمع الجميع ..!! صرخات الرجال الأربعة .. وهم يصرخون .. فى قوة ممزوجة بالحزن واللوعة :

أبى .. أبى .. أبى .. ففى تلك اللحظة .. استطاع العجوز نطق الشهادتين .. وفاضت روحه إلى بارئها .. وارتخت أطرافه .. وخرج جميع من فى العيادة .. للمشاهدة .. بما فيهم الممرضون .. والدكتور (مصطفى) .. ما عدا .. (إبراهيم) .. بالطبع .. وهذين الرجلين العجوزين .. اللذين شرعا يبكيان فى صمت .. بل ونظر كلٌ منهما إلى الآخر .. وقد فهم كلٌ منهما الآخر .. وكأنهما يعرفان بعضهما البعض .. منذ سنين .. ورغم ذلك .. فقد استمرا .. وشرعا .. يبكيان ..

ويبكيان ..

ويبكيان ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصل الحادى عشر

أمور .. وأشياء كثيرة .. قد حدثت فى هذه الليلة العجيبة .. فبداية .. فقد دلف (إبراهيم) إلى غرفته .. وصفق بابها خلفه فى قوة .. ارتجت لها .. العيادة .. كلها .. وجلس على كرسيه .. ولأول مرة .. منذ سنين .. عديدة مضت .. حيث كان قلبه يدق بمنتهى العنف .. فما حدث له .. فى هذه الليلة .. الليلاء .. كان يفوق الاحتمال .. أكثر بكثير مما مضى .. واستعجب كثيرًا مما حدث معه فى هذا اليوم .. ودون أن يشعر .. ابتلع قرصين مهدئين .. ثم تجرع .. خلفهما .. كوبًا من الماء .. أما (مصطفى) .. فبعد أن شاهد .. وسمع ما حدث .. فقد هرول إلى غرفته مثل الطفل الصغير .. الذى يخشى العقاب .. من والده .. وشرع .. يفكر .. ويفكر .. هل من الممكن .. أن يقوم هؤلاء الرجال ..؟ والذين قام الطبيب بطردهم .. أن ينتظروهم فى الأسفل .. لقتلهما .. للانتقام .. والأخذ بالثأر ..؟ هل ..؟

أما الممرضان (سمير) .. و(أمير) .. فقد عاد كلٌ منهما إلى مكانه .. وقد حاولا .. التظاهر .. وكأن شيئًا لم يحدث ..

أما الرجال الأربعة .. فقد حملوا جثة والدهم .. فى حنان جارف .. وهم يدركون جيدًا .. أنها مشيئته .. وإرادته سبحانه .. دون أدنى تفكير فى الانتقام .. أو الثأر .. أما المرضى فى .. العيادة .. فقد أدرك الكثير منهم .. أن الطبيب بعدما حدث .. فإنه بالتأكيد سيعيد نقودهم إليهم .. ولن يقوم بالكشف على .. أى أحد منهم .. وبعد حوالى ربع ساعة كاملة .. لم يتبادل

ثمة أحد .. فيها .. كلمة واحدة .. وخيم الصمت الرهيب .. على العيادة .. وأسدل ستائره السوداء .. عليها بحق .. وكأنها جنازة .. بالفعل ..

ودق الطبيب الجرس .. وهرع (سمير) إلى الطبيب .. وكما توقعه الكثيرون .. من المرضى .. قد حدث .. فقد عاد سالف الذكر .. من الداخل بوجه شاحب .. واعتذر إلى الجميع .. بصوت مختنق .. مع الأخذ فى الاعتبار .. بأن هناك بعض المرضى قد فرح .. بهذا الأمر .. فقد كانوا يرغبون .. فى استعادة نقودهم .. وعدم توقيع الكشف لديه .. ولكن الحياء .. والخجل .. فقط .. هما اللذان قد .. حالا .. دون ذلك .. وحسب الإحصائية .. فقد كان متواجدًا .. فى العيادة .. أربعون من المرضى .. آنذاك .. فقد تم تحديد موعد .. لكل خمسة منهم .. ليس ابتداءً من اليوم التالى .. ولكن من اليوم الذى يليه .. وذلك حسب ترتيب كل مريض فى الكشف .. ومع تباين المشاعر .. ما بين فرح بعض المرضى بذلك .. وما بين غضب .. وسخط البعض الآخر .. انتهى .. الأمر فى النهاية بسلام .. وفى هدوء شديد .. مشوب بالحذر .. والترقب .. والخوف .. خرج الدكتور (مصطفى) .. من غرفته .. على أطراف أصابعه .. ثم سأل (سمير) فى همس :

هل انصرف جميع المرضى ..؟

فأومأ .. برأسه إيجابًا .. دلالة على الموافقة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم أعاد سؤاله مرة أخرى بذات اللهجة الهامسة :

وهل الدكتور (إبرا ..) ، فقاطعه (سمير) على الفور: موجود فى غرفته ..

فسأله مرة أخرى فى تردد :

هل أنصرف مباشرة ..؟ أم أدخل إليه ..؟

وبدون تردد أجابه (سمير) :

اذهب إليه ..

فتقدم .. (مصطفى) نحو غرفة أستاذه .. الدكتور (إبراهيم) .. وهو يُقدم .. خطوة .. ويؤخر أخرى .. حتى وصل إلى بابه .. وفى تردد .. طرق الباب .. طرقات خفيفة غير معتادة .. أدركها أستاذه على الفور .. فدعاه إلى الدخول .. ودلف (مصطفى) .. إلى الغرفة .. وأدرك هذا الأخير .. من وجه أستاذه .. بأنه غير مهيأ الآن .. لأى حديث .. أو عتاب .. فاستأذن .. منه فى الانصراف .. فأذن له على الفور .. وترك أستاذه بمفرده .. وما هى إلا دقائق .. حتى سمع طرقات أخرى .. ودلف (سمير) .. و(أمير) .. واستأذناه فى الانصراف .. فأذن لهما .. على الفور .. فانصرفا .. وتركاه .. فى العيادة بمفرده .. وفى الأسفل تقابل (سمير) .. مع (سعيد) السائق .. وروى الأول .. للثانى كل ما حدث .. فصعد (سعيد) .. إلى سيده .. ومخدومه .. وطرق الباب عليه .. بقوة .. وأخبره بوجوده فى العيادة .. إذا احتاج إلى أى شىء .. فشكره

(إبراهيم) .. على ذلك .. وأخيرًا .. وليس آخرًا .. انفرد الطبيب بنفسه تمامًا .. وشرع يفكر .. ويفكر .. فيما حدث له .. وتعرض له طوال اليوم .. منذ الصباح الباكر .. وهو يخاطب نفسه ..

أهذا ذنب اقترفه ..؟

هل فعل ثمة شىء خاطئ ..؟

هل هذا عقاب منه سبحانه ..؟

ولأول مرة .. يشعر .. بالاكتئاب .. والرغبة .. الشديدة .. والملحة .. فى رؤية أصدقائه .. وأن يسهر معهم سهرته .. الأسبوعية .. المعتادة .. معهم جميعًا .. وأمسك بالهاتف المحمول الخاص به .. وأحضر اسم صديقه الحميم .. الدكتور (مراد) .. وسرعان ما اتصل به .. ولم يجبه هذا الأخير .. على الفور كما اعتاد منه .. وفى النهاية أجاب قائلاً :

دكتور (إبراهيم) .. السلام عليكم .. كيف حالك ..؟

هل هرب .. المرضى منك ..؟

أم أنك قد قمت بطردهم ..؟

كان هذا الأخير .. يمزح .. مع صديق عمره .. ولكنه لم يكن يعلم بأنه قد أصاب .. كبد الحقيقة .. فأجابه (إبراهيم) بصوت مختنق :

وعليكم السلام .. هل انتهيت من عيادتك ؟

فأجابه (مراد) .. فى استغراب :

Looloo
www.looloolibrary.com

هل أنت جاد فى قولك هذا ..؟ ثم استطرد قوله متسائلاً :

هل انتهيت من عيادتك .. مبكرًا .. اليوم .. هكذا ..؟

فأجابه (إبراهيم) فى جدية :

هل انتهيت من عيادتك يا (مراد) .. أم لا ..؟

فأجابه هذا الأخير فى جدية مماثلة :

فى الحقيقة .. أمامى .. ساعة .. على الأقل .. وربما ساعتان ..

ثم سأله من جديد :

(إبراهيم) .. ما الأمر .. لقد .. أقلقتنى ..

فأجابه هذا الأخير :

لا يوجد .. ثمة شىء يا (مراد) .. فنلتق غدًا .. فى ميعادنا المعتاد .. سلام ..

وسرعان ما أنهى المكالمة .. دونما انتظار إجابة من الطرف الآخر .. وعلى الرغم من أنه لا يقوم بالتدخين .. على عكس أصدقائه جميعًا .. ولكنه اشتاق إلى التدخين .. بكافة صوره .. فى هذه اللحظة .. ولم يشعر .. بالرغبة .. فى العودة إلى منزله .. فى هذا الوقت المبكر .. حتى لا تسأله زوجته عما حدث .. فلم تكن لديه الرغبة .. فى التحدث فى هذا الأمر .. وطوال نصف ساعة كاملة .. كان يقوم بمشاهدة .. قنوات الدش .. دون الرغبة فى مشاهدة .. شىء معين .. سواء كانت أفلامًا .. أم أخبارًا ..

أو حتى برامج .. وعندما أصابه الملل الشديد .. دق الجرس .. فدلف (سعيد) إليه على الفور .. وكأنما .. كان ينتظر هذه الرنة .. بفارغ الصبر .. ثم أمره وذلك بعد أن نظر إلى ساعة الحائط .. ووجدها قد اقتربت من الواحدة صباحًا قائلاً :

هيا بنا .. يا (سعيد) .

فاستجاب (سعيد) لأوامر سيده .. وشرع يطفئ جميع أنوار العيادة .. وبالكاد .. قام (إبراهيم) .. من مكانه .. ثم أغلق (سعيد) العيادة .. وقام هذا الأخير بالرن على السائق الثانى .. فى فيلا .. الطبيب ، إيماءً .. وإشارة منه بالتحرك من العيادة .. وذلك بناء على تعليمات زوجته (نبيلة) .. لتجهيز البيت .. وتحضير العشاء .. وما أن استقر الاثنان فى السيارة .. حتى أمره سيده بأن يدور .. ويلف به .. فى أنحاء القاهرة .. حيث إنه لا يرغب فى الذهاب إلى البيت الآن .. وطوال ساعة كاملة .. قام (سعيد) .. بتنفيذ أوامر سيده .. ثم توقف فى أحد محطات الوقود .. لتموين السيارة .. وعندما وصلت الساعة إلى الثانية صباحًا .. أمره سيده بالعودة إلى المنزل .. وهناك .. استقبلته زوجته .. بالأحضان .. قائلة فى لهفة وشوق :

اشتقت إليك يا حبيبى ..

فقال لها فى برود :

وأنا أيضًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم تركها .. فى انسيابية .. واتجه إلى ثلاجة المشروبات الغازية .. والعصائر .. والحلويات .. والموجودة فى الصالة .. وتناول علبة حليب بالفراولة .. وفتحها .. وشرع يتناولها فى هدوء .. فاحتضنته فى حنان .. ونعومة من الخلف .. وكان أدفأ .. وأنعم .. وألين .. حضن .. على الإطلاق .. وكم تمنى .. أن يبادلها .. بعض الحب والحنان .. والأشواق .. ولكن حالته النفسية منعته من ذلك .. فانسلت منها فى نعومة .. ثم صعد إلى غرفتهما .. فى الطابق الثانى .. فقالت له فى حنان :

العشاء جاهز .. هل ..؟ فقاطعها قائلاً :

كلا .. لقد اكتفيت بعلبة الحليب .. سأذهب للنوم .. ثم سألته مرة أخرى :

ألا تريد .. أى شىء ..؟

فأجابها قائلاً :

كلا ..

وسرعان ما قام بتغيير ملابسه .. ثم تناول قرصين .. من أقراصه المنومة .. ولكنه لم ينم على الفور .. فتناول قرصين آخرين .. فنام على الفور ..

وفى الصباح .. أيقظته زوجته بقبلة دافئة حانية .. ولكنه أمرها .. بأن تتركه .. فهو لن يذهب .. إلى العمل اليوم .. فتركته .. وذهبت .. وبعد صلاة العصر .. أيقظته مرة أخرى .. لتناول الغداء .. ولكنه رفض وأصر على إكمال نومه .. فنصحته بأن يقوم للصلاة .. فزمجر فى وجهها ..

فتركته .. وأدرك بأن زوجته .. قد تسببت فى إفاقته .. فتناول قرصين .. منومين آخرين .. وظل نائمًا حتى الساعة العاشرة مساءً .. ولكنه لم ينم باستغراق .. فما بين الساعة وأخرى .. كان يستيقظ .. فيجد الغرفة غارقة .. فى .. ظلام دامس .. وهو لا يبغض شيئًا فى هذا الوجود .. أكثر من بغضه .. للظلام .. وعلى عكس ذلك فقد كان يعشق .. الإضاءة القوية .. وبكافة أشكالها .. بصفة عامة .. والنور .. القوى .. بصفة خاصة .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصل الثانى عشر

نزل (إبراهيم) .. من غرفته .. وهو ما زال يشعر بالنعاس الشديد .. والرغبة العارمة فى النوم .. وفى ذات الوقت كان يشعر بالهزال .. والإنهاك .. والتعب الشديد .. وعلى الرغم من عشقه الشديد .. للنور .. إلا أنه .. قد شعر .. من قسوة الإضاءة القوية .. فى تلك اللحظة .. بأن عينيه تكادان .. تنفجران .. بحق .. فأمر زوجته والتى كانت تنتظره على أحر من الجمر .. فى تلك اللحظة .. بتخفيف الإضاءة قليلاً .. فاستجابت له .. ثم أمرته .. بغسل وجهه .. فهو لم يفعل ذلك .. لعدم قدرته .. فأخذته من يده .. إلى دورة المياه .. لفعل ذلك .. ونصحته .. بأخذ دش دافئ .. سيما وقد قامت بتجهيز كل شىء له .. إلا أنه لم يمتثل لها .. فى هذه المرة .. ثم تركته قائلة :

دقائق .. وسيكون الطعام جاهزًا ..

فأجابها بأنه ليس لديه ثمة رغبة فى الطعام ..

فلم تجبه .. وتركته .. وذهبت لإعداد الطعام .. ثم سألته :

ماذا تريد .. طعامًا عاديًا .. أم سندوتشات ..؟

فأجابها باقتضاب فى تذمر .. مثل الأطفال :

سندوتشات ..

وفى خلال نصف ساعة تقريبًا .. كان قد انتهى من طعامة .. وكانت الساعة قد وصلت .. إلى الحادية عشر .. مساءً تقريبًا .. وجاءه اتصال .. من صديق العمر (مراد) .. يعاتبه فيه على تأخره على غير العادة .. وما هى إلا نصف ساعة أخرى .. حتى كان (إبراهيم) .. يرتدى أبهى حلة له على الإطلاق .. فنظرت إليه زوجته الحبيبة فى هيام .. ثم قالت له فى شىء من الغيرة:

لولا معرفتى الشديدة .. بهذا الموعد المقدس .. لقلت إنك ذاهب للزواج من أخرى .. فابتسم لها .. ولم يجب .. ثم استطردت بذات لهجتها التى تقطر بالغيرة :

إننى أحسد أصدقاءك عليك .. فأنت تجلس معهم أكثر منى .. فقال لها مداعبًا :

يا ساتر .. قل أعوذ برب الفلق .. فضحكت لدعابته .. وسرعان ما هرول .. إلى سيارته ليلحق بموعده .. فنادت عليه معاتبة :

(إبراهيم) .. هل ستخرج هكذا .. وفهم هذا الأخير قصدها على الفور .. فأرسل لها قبله فى الهواء .. وأصابها الحزن من جرّاء ذلك .. فهذه أول مرة يخرج فيها من البيت .. دون أن يبادلها لهيب المشاعر .. من أحضان .. وقبلات .. وركب سيارته .. مع سائقه (سعيد) .. وهو .. فى غاية النشاط .. والحيوية .. وهو يحاول أن ينسى .. أو يتناسى .. ما حدث له بالأمس .. وتناول كالعادة قرصين .. من أقراص .. الفيتامين .. الخاصة به .. وسأله (سعيد) فى فرحة :

Looloo
www.looloolibrary.com

إلى الفندق ..

فأجابه (إبراهيم) :

بالطبع ..

ثم أردف فى سعادة طفل صغير حصل على إجازته أخيرًا :

.. هيا .. طر إلى هناك ..

وفى خلال نصف ساعة تقريبًا .. أو أقل .. كان الأصدقاء يجلسون جميعًا .. فى أحد أشهر مطاعم القاهرة على الإطلاق .. الدكتور (إبراهيم) وصديقاه الحميمان (مراد) .. و(خليل) .. والدكتور (شوقى) .. وهو أحد أشهر أطباء العظام .. فى مصر كلها .. والعالم .. العربى بأكمله .. وسرعان ما طلبوا قهوتهم المفضلة .. والتى لم تكن .. أبدًا .. تقارن بقهوة زوجته الحبيبة ..

وبدأ الدكتور (مراد) الحديث قائلاً فى عتاب :

ما هذه المكالمة الغريبة التى تلقيتها منك بالأمس ..؟

ورفض (إبراهيم) .. أن يخوض أو يروى .. ثمة شىء .. مما حدث له .. بالأمس .. فأجابه (إبراهيم) على الفور :

دعك .. مما حدث بالأمس .. فهو أمر لا يستحق الذكر .. وكانوا يعلمون طبيعة هذا الأخير .. فإنه إذا أراد أن يروى شيئًا .. سيرويه .. والعكس .. فإذا أراد ألا يروى ثمة شىء .. فلن يجبره ثمة أحد .. فى هذا الكون على

ذلك .. حتى ولو كانت حبيبته (زوجته) .. وبالطبع كانوا يحضرون إلى هذا المكان أسبوعيًا .. لأنهم أصدقاء منذ زمن بعيد .. ولأنهم يريدون أن يتناسوا همومهم .. وجميع أعبائهم .. وطوال ساعة كاملة أو يزيد .. شرعوا يتحدثون . .ويتسامرون .. ويروون أغرب المواقف التى مروا بها .. طوال .. الأسبوع المنصرم .. ثم شرعوا يتحدثون عن .. أحدث الاكتشافات العلمية .. كلٌ فى مجاله .. واختصاصه .. وبالطبع لم يسلم الأمر .. من أن يعرجوا .. على السياسة .. وما يحدث فى جميع أنحاء الجمهورية .. سواءً كانت أخبارًا .. أو قرارات .. أو حوادث .. كل ما يخص .. أنحاء المعمورة .. بلا استثناء .. وأخيرًا .. لا آخرًا .. حضر العشاء .. المفضل لدى كل منهم .. وبعد تناولهم نصف العشاء تقريبًا .. وفى تلك الأثناء .. قال (إبراهيم) .. فى جدية :

هل تعلمون أكثر ما أعشقه فى هذا المكان .. فنظروا إليه جميعًا فى تساؤل :

فأردف كلامه فى إعجاب :

الإضاءة القوية .. والنور المبهر .. والذى يملأ جميع أرجاء المكان .. فقاطعه (مراد) قائلاً :

ولكنى على عكسك .. يا (إبراهيم) .. فأنا لا أعشق ذلك .. فى تلك الأثناء .. وحيث كان (إبراهيم) يتناول طعامة .. وحاول .. التحدث .. وحاول .. ولكنه فجأة .. شعر باختناق شديد .. وشرع يسعل .. ويسعل بمنتهى القوة .. وهو يحاول التقاط أنفاسه بمنتهى الصعوبة .. وأدرك

Looloo
www.looloolibrary.com

أصدقاؤه .. ما حدث له على الفور .. وكان أول شخص قد تحرك هو (مراد) .. نحو صديق عمره .. وشرع يضربه على ظهره فى قوة .. بينما أعطاه (خليل) .. كوبًا من الماء .. ولكن كل هذا لم يفلح .. وما شاء الله قد كان .. فسرعان ما شهق (إبراهيم) الشهقة الأخيرة .. وازرق وجهه .. وشحب شحوب الموتى .. وشعر هذا .. الأخير بقبضة .. شديدة .. مؤلمة .. تعتصر قلبه .. اعتصارًا .. وتصبب العرق غزيرًا .. فى جميع .. أنحاء وجهه .. وجحظت عيناه .. على نحو عجيب .. ثم انتفضت جميع .. أطرافه .. يداه .. وقدماه .. وجفناه .. وشفتاه .. ثم هدأ .. كل شىء .. مرة واحدة .. وسكن .. ولم يصدق أصدقاء عمره .. ما شـهدوه بأم عينهم .. وما حـدث لصديق عمرهم .. وهـو ما زال .. فى ريعـان شبابه .. وقمة مجـده .. وقوته .. وبسكون جسـده .. سكن كل شىء .. فقد كان رواد المطعم .. والعاملون فيه .. يراقبون ما يحدث وبسكون جسده .. سكن الجميع .. مرة واحدة .. فى ترقب .. ممزوج بالتعجب .. والرهبة .. فهذا أعظم أطباء القلب المعدودين فى العالم .. يموت أمام أعينهم .. وهو الذى لم يعانِ .. طوال عمره من ثمة شىء .. ولكن هذا أمر الله العظيم .. سبحانه .. وقدره .. ما شاء الله العظيم كان .. وما لم يشأ لم يكن .. وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (سورة آل عمران الآية 185) ، وقـال لحبيبه ﷺ : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ . صدق الله العظيم .. وأخيرًا .. لا آخرًا .. انتشل أصدقاؤه .. أنفسهم مما أصابهم .. وحملوا صديق العمر .. بمعاونة العاملين فى المطعم .. حتى سيارة (مراد) .. ألذى أصر على ذلك .. وانتشر الهرج .. والمرج .. فى

جميع أنحاء المطعم .. بلا استثناء .. ووقف معظم رواد المطعم .. للمشاهدة .. فهذه طبيعة أهل مصر المحروسة .. ثم طاروا به .. إلى مستشفاه الخاص به .. والتى بها أحدث .. الأجهزة الطبية فى العالم .. ولكن (مراد) .. و(خليل) .. كانا يدركان .. أن صديقهما قد أسلم الروح بحق .. وأن ما يفعلانه .. ما هى إلا مجرد محاولات يائسة فاشلة .. لعل .. وعسى .. فهو سبحانه وتعالى على كل شىء قدير .. ولكن لا راد لقضائه .. وفى خلال أقل من خمس دقائق .. كان الجميع فى غرفة العناية المركزة .. وكان (إبراهيم) .. فاقد النفس .. وسرعان ما قام (مراد) .. و(خليل) بتجهيز .. جهاز الصاعق الكهربائى .. لمحاولة إنعاش .. وإفاقة القلب .. وقام (شوقى) .. بمساعدة الممرضة (هيام) .. أحد الممرضات فى المستشفى .. التى كان عليها الدور فى السهر لهذه الليلة .. وبالطبع فقد فوجئت بما يحدث أمامها .. وقام صديقاه بتجريده من ملابسه .. الخاصة بنصفه العلوى .. وقام (خليل) .. بوضع .. جزء .. من السائل الهلامى (جل) ، على منطقة القلب والصدر .. وسرعان ما قام صديقاه بعملهما .. والذى يتقنانه إلى أقصى درجة .. والذى لم يتصور أحدهما .. يومًا .. بأن يفعلا ذلك مع صديق العمر .. صديقهما .. وحبيبهما .. وأستاذهما .. وصعقه .. وراء .. صعقة .. وضربة .. وراء .. ضربة .. وأخيرًا .. قام (مراد) بالنفخ فى فمه .. لعمل ما يسمى بالتنفس الصناعى .. ولكنهم أدركوا جميعًا .. بأن حبيب العمـر .. قـد مات .. نعم قد مات .. حقيقة مرة .. ولكن لا يمكن إنكارها .. مات فجأة .. وبدون مقدمات .. هكذا هى

Looloo
www.looloolibrary.com

الدنيا ، وصدق الله العظيم .. إذ يقول سبحانه : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (سورة لقمان الآية 34) .

هذا هو أمر الله العظيم .. وقدره .. ويجب الاستسلام له .. مهما كان .. ومهما يكن .. فهذا هو أعظم أطباء القلب على الإطلاق .. لم يستطع .. إنقاذ نفسه .. من الموت .. وكذلك عجز صديقا العمر .. وعندما أدرك الجميع ذلك .. صرخ (مراد) باكيًا .. فى لوعة .. ومرارة :

كلا .. كلا .. لا تذهب يا صديقى .. لا تذهب يا صديق العمر .. وشرع يبكى .. وينتحب على صدر صديقه .. الذى فاضت روحه إلى بارئها .. وشرع (خليل) يبكى .. فى قوة .. وقد أدار ظهره .. للجميع .. حتى لا يرى ثمة أحد الحالة التى هو عليها .. أما (هيام) ، وعلى الرغم من أن الدكتور (إبراهيم) .. رحمة الله العظيم عليه .. كان يعاملها بأسوأ معاملة .. ولا يغفر لها ثمة خطأ .. مهما .. كان .. إلا .. أنها لم تشمت .. ولم تفرح .. وشرعت تبكى وتبكى وتبكى عليه .. فى حرقة .. سيما وأنها لا تنكر .. رغم عصبيته .. وغروره بأنه كان أعظم أطباء .. القلب على الإطلاق ..

نعم ..

كان ..

ويجب على الجميع تقبل .. هذا الأمر ..

مهما حدث ..

لأنه ببساطة شديدة ..

قد أصبح أمرًا .. واقعًا ..

لا مفر منه ..

ولا مهرب ..

أبدًا ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصل الثالث عشر

سرعان ما انتشر الخبر .. كالنار فى الهشيم .. فى جميع أنحاء وأرجاء المستشفى .. وحضر الأطباء (هيثم) .. و(تامر) .. و(أحمد) .. ومن الممرضين (شادى) .. و(هادى) .. و(محمد) .. ومن الممرضات (فاطمة) .. و(يسرية) ، و(هدى) .. ولكن لم يدخل الغرفة سوى الأطباء سالفى الذكر فقط .. ولكن (شوقى) .. قام بطرد الأطباء .. فى قوة .. ممزوجة .. بالأدب .. سيما وأن الأطباء سالفى الذكر .. كانوا أطباء .. جددًا .. حديثى السن .. و العمل .. وبعد مرور .. حوالى عشر دقائق تقريبًا .. مرت .. وكأنها دهر كامل .. قال (شوقى) فى بساطة :

يجب إخبار (زوجته) ..

قالها .. دون أن يلقى لها بالاً .. لكن وقعها .. على صديقيه .. كان وكأنه .. قد ألقى عليهما .. ألف ألف قنبلة .. ولا نبالغ إذا قلنا .. بأنه قد ألقى قنبلة .. نووية .. فى الغرفة .. فقد توقف الصديقان .. عن البكاء والنحيب .. دفعة واحدة .. ثم نظرا إليه .. فى ذهول .. وقد اتسعت أعينهم .. إلى حد الرعب .. وبعد دقيقة كاملة .. من الصمت .. وكل منهم .. ينظر إلى الآخر .. وسرعان ما شرع كل منهم يلقى .. هذا الأمر .. على الآخر .. حتى نطقت (هيام) .. وقالت كلمة واحدة :

(سعيد) ..

فصرخ الصديقان فى فرحة فى آن واحد :

نعم .. نعم (سعيد) ..

وعن طريق .. التليفون الداخلى .. فى الغرفة .. طلب (مراد) .. البـوابة .. وأمرهم .. بإرسال (سعيد) .. على الفور .. ولكنهم لم يكن كل منهم يعلمـون .. بأن هذا الأخير .. كان بجوار باب الغرفة بالفعل .. وما أن سمع .. (مراد) .. ينطق باسمه .. بصوت عال .. حتى قام بطرق باب الغرفة .. طرقات هادئة .. حزينة .. .. ودخل (سعيد) إلى الغرفة .. وهرول إليه (مـراد) .. ولكن السـائق الأمين .. تركـه .. واتجه إلى جثة سيده المسجاة على ظهرها .. والمغطاة بشرشف .. أبيض .. ورفع الغطاء .. عن وجه سيده .. وكان الدمع موجودًا .. فى الأصل فى كلتا عينيه .. فانهمرت على الفور .. بمجرد رؤية وجهه الشاحب .. ومال على رأس سيده .. وطبع قبلة الوداع .. على جبين سيده .. وسالت دموعه الساخنة .. على وجه سيده .. فمسحها .. بأنامله .. بكل رقة .. ثم انتحى جانبًا .. وشرع .. يبكى ويبكى .. ويبكى ..

وهنا اتجه إليه .. (خليل) .. قائلاً له من بين دموعه:

تجلد .. يا (سعيد) .. لقد قلنا .. بأنه لن ينقذنا سواك .. وتحشرج صوته وهو يقول :

إكرام الميت دفنه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وانتحب الثلاثة بصوت عالٍ فى آن واحد .. (مراد) .. و(سعيد) .. و(هيـــام) .. والغريب .. أن (شوقى) كـــان أملكهم .. لمشاعره .. ودموعه .. فى آن واحد .. وكأن الذى مات هو شخص عادى .. وليس صديق العمر .. وبعد أن انتهى الجميع مؤقتًا .. من بكائهم .. نطق (شوقى) أخيرًا ثم قال آمرًا :

(سعيد) .. نريد منك إحضار رجل لتغسيل الجثة .. وإخبار زوجة (المرحوم) بذلك .. فنظر إليه (سعيد) .. فى رعب .. وقد اتسعت عيناه إلى أقصى مدى .. فقال له (شوقى) فى إصرار :

مهما حدث .. ومهما فعلت .. فليس هناك .. سواك .. ولن يجرؤ على فعل هذا الأمر .. غيرك .. فخرج (سعيد) .. من الغرفة .. لعمل اتصال .. لتدبير أمر الرجـل .. الذى ســوف يقــوم .. بتغسيل جثة (إبراهيم) .. وسرعان ما تعاونوا مع بعضهم البعض .. وقاموا بحمل جثة هذا الأخير .. على أحد الأسرة .. المحمولة .. حتى أحد سيارات الإسعاف .. الخاصة بالمستشفى .. وذلك بعد أن قاموا .. بالتنبيه على سائقها .. بعدم تشغيل السارينة .. الخاصة بسيارة الإسعاف .. وسرعان ما وصلوا بحملهم .. حتى باب الفيلا .. الداخلى .. وقاموا بإخبار البواب (شكرى) .. بما حدث .. الذى بكى على الطبيب على الفور .. وقام (سعيد) بالتقدم .. لطرق باب الفيلا .. وأدركت الزوجة الملهوفة .. بأن هذه ليست طرقات زوجها .. بل وليس هذا ميعاده .. علمًا أن الساعة تكاد تصل .. إلى الثالثة صباحًا ..

فارتدت الروب الخاص بها .. ثم اتشحت .. بخمارها .. ثم قالت فى قوة : من الطارق ..؟

فأجابها (سعيد) فى رعب :

أنا (سعيد) .. يا مدام ..

ففتحت هى الباب على الفور .. وفوجئت .. بما شاهدت .. فقد كان هناك العديد من الرجال .. يحملون رجلاً واحدًا .. مغطى من قمة رأسه وحتى أخمص قدميـــه .. بهـــذا الشرشف .. الأبيض .. وانقبض قلبها .. على الفور .. وفى أثناء دلوفهم إلى داخل الفيلا .. لمحت حذاء زوجها .. .. فانفجر قلبها .. وانخرس لسانها .. وعجز عن النطق .. وكانت تنتوى السؤال عما يحدث .. وماذا يجرى ..؟ ومن هذا الرجل .. الذى يحملونه ..؟ ولكنها أدركت .. وتيقنت أكثر وأكثر .. عندما قام (سعيد) .. بتجاوزها ثم قام بفتح غرفة النوم .. الخاصة بها .. وبزوجها .. وحاولت .. جمع .. أشلاء قلبها .. وجاهدت .. ولكنها لم تستطع .. فسقطت مغشيًا عليها .. ولم ينتبه إليها ثمة أحد .. فى هذه اللحظة ..

وبعد أن قام (سعيد) .. بفتح باب الغرفة .. وقام الجميع .. بالدلوف إلى داخلها .. وسرعان ما قام (سعيد) .. بإضاءة أنوار .. هذه الغرفة .. ووقف الجميع فى هذه اللحظة رغمًا عنهم .. فقد كانت الغرفة .. أنيقة جميلة .. فى غاية الإبداع .. نظيفة .. منظمة .. يفوح فى جوها .. وهوائها .. أجمل .. وأزكى العطور .. وعلى الفراش .. كانت زوجته ..

Looloo
www.looloolibrary.com

تنشر .. أوراقًا لزهور حمراء .. على شكل قلب كبير الحجم .. وفى منتصفه تمامًا .. أحبك يا حبيبى .. باللغتين العربية .. والإنجليزية .. ودمعت عيون الجميع .. بلا استثناء .. .. بل .. وبكوا جميعًا .. بلا استثناء .. هذه المرة .. وفى هدوء .. ممزوج بالحنان .. وضعوا .. جثته على هذا القلب .. فمن كان يدرى أو يعلم .. بأن هذا القلب قد نثرته له زوجته .. من أجل وضع جثته عليه .. وأدرك الجميع .. بلا استثناء .. قدر عشق زوجته الحبيبة له .. وكيف ستعيش هذه العاشقة .. البائسة .. من بعده .. وحدها .. بعد ذلك .. وهى ما زالت فى ريعان شبابها .. وزهوة جمالها .. وتذكر (سعيد) .. سيدته .. وما قد يكون .. قد أصابها .. من جرّاء رؤيتها لهم .. فخرج مهرولاً من الغرفة .. وأبصرها مسجاة على الأرض .. من الطابق الثانى .. وصرخ فى الدكتور (مراد) .. و(خليل) .. اللذين هرولا جميعًا إليها .. وحملوها من على الأرض .. ووضعوها على أحد الكراسى .. وقاس (مراد) نبض قلبها .. فوجده ضعيفًا للغاية .. فصرخ هذا الأخير فى (سعيد) .. لإحضار حقيبة الدكتور (إبراهيم) .. من سيارته .. حيث بها حقن خاصة .. لمثل تلك الحالات .. وكان (مراد) يعلم بذلك .. من المرحوم (إبراهيم) .. بالطبع .. وسرعان ما قام بحقنها بإحداها .. فى الوريد .. فى أقل .. من دقيقة .. كانت قد استفاقت مما أصابها .. وشرعت تُردد وهى ما زالت لم تفق كليًا :

(إبراهيم) .. حبيبى .. حبيبى .. (إبراهيم) ..

ثم استفاقت فجأه ونظرت إليهم جميعًا فى ذهول .. واتسعت .. عيناها فى رعب .. والدموع تنهمر منهما كالسيل .. ثم سألتهم فى رعب ممزوج بالخوف :

ماذا حدث لزوجى ..؟

فأجابها (مراد) فى هدوء شديد .. وقد حاول أن يلف ويدور ولكنه لم يستطع :

فى الحقيقة لقد أصابته أزمة قلبية فجأة .. ومات ..

وشهقت شـــهقة شـــديدة .. ووضـــعت يديها على فمها .. لتكتم صرخة قوية .. كادت تنطلق من أعماقها وقلبها وصدرها .. ولم تصدق هذه الزوجة العاشقة .. المخلصة .. ما سمعته أذناها .. واستنكرت بشدة .. ولكنها .. سرعان ما أزاحته من طريقها .. وانطلقت بأقصى سرعة إلى دورة المياه .. وذلك لإفراغ ما فى معدتها .. فحتى معدتها لم تتحمل هذا الخبر .. بل هذه الصدمة المفجعة .. وما أن انتهت .. حتى شرعت تنتفض .. وترتعش .. وعلى الرغم من قسوة الآلام .. التى انتشرت فى جميع أنحاء جسدها .. من جرّاء الصدمة التى تلقتها .. والتقلصات التى أصابتها .. من جرّاء إفراغ ما فى معدتها .. انفردت بنفسها فى الحمام .. وشرعت تبكى وتبكى .. وتنتحب .. وتنتحب بقوة .. وكم تمنت أن تصرخ .. وتصرخ .. وتصرخ .. ولكنها كانت على يقين .. من أن الرجال .. سيسمعونها فى الخارج .. وهى لن تسمح بذلك .. لن تسمح بأن يقول ثمة أحد .. على زوجه الدكتور (إبراهيم) .. قد فعلت .. كذا .. وكذا .. وقتلت أعصابها ..

Looloo www.looloolibrary.com

ثم راجعت نفسها .. فقد أصبحت زوجة المرحوم .. بل زوجة المرحوم .. بحق .. أو بمعنى أدق .. لقد أصبحت أرملة .. وشرعت تنتحب مرة أخرى .. وهى تضرب رأسها فى الحائط .. ضربات متتالية ليست بالقوية .. وفكرت فى الانتحار .. ولكنها تذكرت أولادها .. فلذات كبدها .. يجب .. أن تعيش .. وتبقى .. على الأقل من أجلهم .. من أجلهم .. فقط .. وتذكرت أولادها .. النائمين .. وخشيت من استيقاظهم فى هذا الوقت المتأخر .. والآن يجب أن تخرج .. بسرعة .. شامخة .. قوية .. مرفوعة الرأس .. أمام الناس .. ستصمد .. ستصمد من أجله .. حتى بعد موته .. فيكفيها .. بقاء وجمال الذكرى .. وغسلت وجهها .. وتخلصت من أى أثر للزينة فى وجهها .. ثم نظرت إلى المرآة .. ساعتها أدركت أنه يجب تغيير ملابسها .. وأن ترتدى الملابس السوداء .. فهذا ما يليق بها .. الآن .. على الأقل .. فى هذا الموقف العصيب .. وإن كان السواد .. لن يفارق قلبها أبدًا .. أبدًا .. بل .. طوال العمر .. على عشيقها .. وحبيب العمر .. وأخيرًا .. لا آخرًا .. خرجت من دورة المياه .. فوجدت زوجة (سعيد) .. (فوزية) .. قد حضرت آنذاك .. وهى ترتدى الملابس السوداء .. والتى هرولت إليها .. وارتمت فى أحضانها .. وهى تهمس فى أذنها :

البقاء لله العظيم .. وحده .

* * *

الفصل الرابع عشر

فى تلك الأثناء .. نظرت (الزوجة) .. الحزينة حولها .. فوجدت أناسًا كثيرين .. يطئون بيتها .. وهى التى لم تعتد ذلك طوال عمرها .. فبيتها طوال العمر .. هو مملكتها الخاصة .. والتى لم تسمح يومًا .. بدخول .. خادمة .. مجرد خادمة .. لمساعدتها .. فى الأعمال المنزلية .. فى هذا البيت الكبير .. بحق .. ولكنها استطاعت تمييز (سعيد) .. (ناصر) .. السائقين الخاصين بزوجها .. رحمة الله تعالى عليه .. ثم شاهدت شخصًا .. غريبًا .. يحمل .. كمية كبيرة من القماش الأبيض .. وعلى الرغم من أنها قد أدركت .. ماذا يحدث .. !!، إلا أنها لم تستطع أن تمنع نفسها .. من السؤال بصوت متحشرج :

ما هذا ..؟ وماذا يحدث الآن ..؟

فأجابتها (فوزية) .. فى تردد حزين .. وهى لا تجرؤ على النظر فى عينيها :

أنهم يقومون بتغسيل زوجك الآن ..!!

ثم استطردت بسرعة خشية التراجع :

وهذا القماش الأبيض .. هو الكفن الخاص به ..!!

ولم تستطع (الزوجة) المخلصة .. أن تتحمل كل هذا .. فقد كان كل هذا .. أكبر وأكثر بكثير .. من أن تتحمله طاقتها .. فغامت الدنيا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أمام عينيها مرة أخرى .. وقاومت الدوار .. الذى هاجمها فى عنف .. وقاومت .. وفى النهاية .. استندت على (فوزية) .. التى أجلستها على أحد الكراسى .. ثم أسرعت هذه الأخيرة .. إلى المطبخ لإحضار كوب من الماء لها .. ودفنت (نبيلة) .. وجهها .. بين .. راحتى كفيها .. وشرعت تبكى وتبكى .. فى انهيار شديد .. فهى حتى الآن غير مصدقة لما يحدث حولها .. وأحضرت لها (فوزية) الماء .. وبعد حوالى نصف ساعة تقريبًا .. شاهدتهم يحملون نعش زوجها الحبيب .. وهم يخرجون به من أحد الغرف فى الطابق العلوى .. وكان الرجال يتحركون فى صمت .. وهدوء .. شديدين .. خشية إيقاظ نجليه الحبيبين .. ومشاهدة هذا المشهد الرهيب .. وحمدت الزوجة الحزينة ربها .. آلاف المرات .. أن نجليها لم يشعرا .. بما حدث .. وظلا نائمين آنذاك .. وسرعان ما شاهدت شقيق زوجها (أشرف) .. الذى سرعان ما اندفع إليها لتعزيتها .. ولكنها لم تتحمل رؤية .. نعش زوجها .. وهو ينزل أمامها من الطابق العلوى .. وكم تمنت أن تطير إليه لتودعه آخر وداع .. ولكن لم يتسن لها ذلك .. أو بمعنى أدق .. لم تستطع .. فقد سقطت فاقدة الوعى على الفور .. وانقسم الرجال إلى فريقين .. الجزء الأكبر من الرجال .. ذهب مع جثة الزوج إلى المقابر .. بينما حملت (فوزية) .. و(سعدية) .. زوجة البواب .. بمساعدة الدكتور (خليل) .. الزوجة .. المكلومة الثكلى .. إلى المستشفى .. وبدون مقدمات .. دخلت إلى نفس غرفة العناية المركزة .. التى مات بها زوجها .. وشرعوا .. فى إنقاذها .. وإفاقتها بشتى الطرق .. وعلى الجانب الآخر .. كان باقى الرجال .. هناك فى المقابر .. وكان الحفار قد

انتهى تقريبًا .. من فتح المقبرة الخاصة بالمرحوم الدكتور (إبراهيم) .. وكانت حوالى الساعة الخامسة صباحًا .. ولم يبق على صلاة الفجر سوى دقائق .. تقريبًا .. وكانت ليلة .. ليلاء .. حالكة السواد .. لم يكن فى المكان كله سوى الظلام .. الظلام فقط .. وصوت الكلاب التى تعوى .. من بعيد .. وتكاد تقترب منهم .. وأصاب الجميع الخوف .. والرهبة .. والرعب الشديد .. من هذا المكان .. واقشعرت الأبدان .. وكانوا يتمنون .. أن ينتهى الرجال .. من ذلك بأقصى سرعة .. للخروج من هذا المكان المظلم .. الملعون .. واستغربوا.. واستعجبوا من أنفسهم .. فإذا كانوا هم .. وهم .. مع بعضهم البعض .. فقد كانوا يشعرون بهذا القدر .. الهائل من الخوف والرهبة .. والرعب .. فكيف .. بهذا الصديق الحميم ..؟؟ الذى سينزل إلى القبر بمفرده الآن .. فى هذا الظلام الحالك .. ولن ينفعه .. سوى عمله .. عمله فقط .. وسرعان ما انتهى .. الحفار من عمله .. وأغلق القبر .. على صاحبه .. ووقف الجميع .. يدعون له بالمغفرة .. والثبات عند السؤال .. وفى النهاية .. فإنهم لن يبقوا فى هذا المكان طوال العمر .. فما هى إلا نصف ساعة تقريبًا .. حتى انصرف الجميع .. بلا استثناء .. وذلك بعد أن أغلقوا عليه قبره .. وتركوه بمفرده .. هناك ..

فى الظلام ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

استطاع الدكتور (خليل) .. إنقاذ (الزوجة) .. الحزينة .. البائسة .. بمعجزة حقيقية .. وذلك بعد حوالى .. ساعتين تقريبًا .. وبمجرد إفاقتها مما هى فيه .. وفتح عينيها .. واسترداد كامل وعيها .. وليس كامل عافيتها .. سألت على (سعيد) .. والذى كان موجودًا .. آنذاك .. وذلك بعد الانتهاء .. من دفن الدكتور (إبراهيم) .. رحمة الله تعالى عليه .. وسألته فى لهفة

ممزوجة باللوعة :

أين (إبراهيم) ...؟

واستحى أن يجيبها على الفور ..

فأعادت سؤالها .. بدموع مقهورة حزينة قبل لسانها :

أرجوك يا (سعيد) .. أين زوجى الآن ..؟

فأجابها باكيًا .. هامسًا .. وبصوت متحشرج ويشعر بالذنب : لقد قمنا .. بدفنه ..

وشهقت بعدها شهقة .. ظن بعدها الجميع .. بأنها شهقة .. الموت .. أو شهقة الوداع .. وأدارت وجهها للناحية الأخرى .. وشرعت تنتحب .. وتبكى .. فى قهر وحزن شديدين .. فجاءها (خليل) من الناحية اليسرى قائلاً مواسيًا لها :

ثقى .. يا مدام (نبيلة) .. بأننا كلنا بجوارك .. ولن نتركك .. ولن نتخلى .. عنك أبدًا .. أبدًا .. ولكن كلامه لم يزدها إلا حزنًا .. وكمدًا .. فأدارت وجهها للناحية اليمنى .. فقال لها (سعيد) .. مشجعًا :

لا تقلقى .. واطمئنى يا سيدتى .. سنظل بجوارك إلى ما شاء الله تعالى .. فقالت لهما .. من بين دموعها :

جُل ما كنت أتمناه .. أن ألقى عليه نظرة الوداع .. كنت أتمنى احتضانه .. الحضن الأخير فقط .. وشرعت تبكى .. وتبكى .. وتبكى .. وبعد أن انتهت (نبيلة) .. من نوبة بكائها .. وهدأت .. قليلاً .. قال لها (سعيد) فى هدوء :

معذرة .. يا (سيدتى) .. ولكن بعد موت أحد الزوجين .. لا يجوز لأحدهما ــ على حد علمى ــ .. سوى النظر إليه فقط .. ولا يجوز لك .. سوى ذلك .. فلا يجوز لكى .. احتضانه .. ؛ لأنه .. وتردد قليلاً .. قبل أن يستطرد كلامه :

لأنه بعد موت أحد الزوجين .. يصبح كل منهما .. غريبًا عن الآخر .. وفتحت عينيها .. فى دهشة ممزوجة بالاستغراب .. والاستنكار .. وهى تسمع هذا الكلام لأول مرة فى حياتها .. فهكذا مرة واحدة .. لم تسنح لها الفرصة .. حتى لمجرد إلقاء نظرة الوداع عليه .. كيف اختطف زوجها منها هكذا ..؟ كيف ..؟

Looloo
www.looloolibrary.com

وشرعت تنتحب .. فى انهيار .. شديد .. وفى تلك اللحظات .. كانت على السرير .. فى غرفة العناية المركزة .. وقد علق لها الدكتور (خليل) .. المحلول الملحى .. ووضع لها .. مع السائل الذى يسرى فى وريدها .. حقنة مهدئة .. وحقنة فيتامينات .. وحضر الدكتور .. (مراد) فى تلك الأثناء .. ونظر هذا الأخير إلى صديقه نظرة ذات مغزى .. فالتفتت إليه (نبيلة) .. تقول له فى لهجة مترددة متحشرجة :

هل ؟.. هل ؟.. دفنتموه ..؟

فنظر إليها (مراد) .. ثم قال آمرًا .. لـ (خليل) .. و(سعيد) :

اخرجا .. الآن .. أريد أن أبقى بمفردى .. مع مدام (نبيلة) .. قليلاً .. وخرج الاثنان على الفور .. تنفيذًا لأمره لهما .. وسرعان .. ما أحضر كرسيًا .. وجلس عليه .. واقترب منها .. ونظر فى عينيها مباشرة قائلاً فى إصرار :

(نبيلة) .. إن زوجك .. رحمة الله تعالى عليه .. كان يتحدث عنك دائمًا .. بأنك .. أعظم امرأة .. وأعظم زوجة .. فى هذا الوجود .. ولست أظن صديقى كاذبًا .. ثم استطرد وبنفس لهجته :

بل كان يقول عنك دائمًا .. أنك امرأة بألف رجل .. وأنه لا يخشى على أولاده .. من بعده .. لوجودك فى حياتهما .. الآن .. لقد أصبحت أنت .. بالنسبة لهما .. كل شىء .. الأم الحنون .. والأب .. المفقود .. وهذا يحتاج إلى قوة .. وإرادة .. وعزيمة .. وإصرار .. ما أريده منك

الآن .. أن تقومى .. كالمصارع فى الحلبة .. ليس من أجل نفسك .. واستدرك قائلاً :

ولكن على الأقل .. من أجل أولادك .. بعد قليل .. سيستيقظان .. وسيسألان .. عن والدهما .. ويجب أن تكونى .. موجودة .. وحاضرة آنذاك .. وبقوة .. لمؤازرة .. أولادك .. على الأقل .. وانتهى (مراد) من حديثه .. وقد ترقرق الدمع فى عينيه .. وهو ما زال ينظر إلى عينيها مباشرة .. ليرى تأثير .. كلامه عليها .. وانهمرت .. الدموع .. بغزارة .. حارقة على وجنتيها .. وهى تستوعب .. وتزن كل كلمة .. من كلامه جيدًا ..

وأخيرًا .. وليس آخرًا .. اتخذت قرارها .. وحسمت أمرها .. وأدركت أن كلامه كله صحيح .. وأنها يجب أن تعود لمؤازرة نجليها .. على الأقل .. فنهضت من فراشها .. واعتدلت فى جلستها .. ومسحت دموعها .. وأمرته بإخراج .. الإبرة من وريدها .. والتى تتصل بالمحلول الملحى .. وقررت الخروج .. والعودة إلى بيتها .. وأولادها .. وبدون كلام .. خرجت من غرفتها .. وأمرت (سعيد) بالعودة إلى منزلها .. فسأل (خليل) .. (مراد) .. بعدما أبصر ما حدث :

ماذا فعلت لها ..؟

فأجابه هذا الأخير فى حزن :

Looloo
www.looloolibrary.com

كانت تحتاج إلى دفعة نفسية .. لا إلى دفعة علاجية .. ثم قال هذا الأخير إلى صديقه :

يجب .. أن نذهب .. إلى الجرائد .. لنشر نعى محترم .. يليق بصديق العمر .. وفى تلك الأثناء .. كانت (نبيلة) فى طريق العودة إلى منزلها .. وكانت خيوط الصباح .. قد نشرت خيوطها فى جميع الأنحاء والأرجاء .. وتبدد .. لهيب .. وخوف .. ورعب الظلام .. وكانت الطيور .. تغرد كما هى .. وطفقت الشمس تستيقظ فى مهدها .. وتتحرك .. للخروج لتنشر أشعتها .. وأنوارها ودفئها .. فى كل الوجود .. لم يتغير ثمة شىء فى هذا الكون .. لمجرد موت زوجها .. الدنيا باقية كما هى .. وحدها هى فقط .. التى تغيرت .. ويجب أن تواجه .. هذا التغيير .. وتقاومه .. وتقاتله .. من أجل أولادها .. فلذات أكبادها .. وتحرك .. (سعيد) .. بالسيارة .

نحو منزلها .

* * *

الفصل الخامس عشر

كانت السيارة تسير بها فى طريق العودة .. نحو منزلها .. وأبصرت نـور الصباح .. الذى انتشر فى مكل مكان .. وتذكرت زوجها .. مرة أخرى .. تذكرت قدر ومقدار .. عشقه للنور .. وبغضه للظلام .. بكافة صوره .. تذكرت أنها تنعم هى الآن .. بالنور بمفردها .. بينما يقبع هو فى الظلام .. بمفرده .. وشرعت تدعو له بالرحمة .. والمغفرة .. وأن يوسع له سبحانه برحمته قبره .. وأن ينير له قبره .. وأن يثبته عند السؤال ..

ووصلت هى إلى بيتها .. وفتحت باب منزلها .. وانقبض قلبها .. فهى لن ترى زوجها مرة أخرى ..

كيف ستخبر وتواجه أولادها بالأمر ..؟ عندما يستيقظون من نومهم .. وانتزعها (سعيد) من أفكارها وتساؤلاتها .. وهو يقول لها فى إشفاق بعد أن وصلوا إلى البيت :

هل تأمرين بأى شىء آخر .. الآن يا سيدتى ..؟

فأجابته فى امتنان :

شكرًا لك .. يا (سعيد) ..

فأجابها هذا الأخير فى صدق :

لا شكر على واجب .. وانصرف هذا الأخير ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم تذكرت أمرًا ما .. فشرعت فى النداء عليه : (سعيد) .. فعاد إليها مهرولاً .. فأخرجت حافظة نقودها .. من حقيبتها الخاصة بها .. وأخرجت ورقتين فئة (المائتى جنيه) .. ثم أعطتهم له .. وحاول هذا الأخير .. أن يرفض بشتى الطرق .. ولكنها أقسمت عليه .. قائلة له فى حزن وقد اختنق صوتها بالبكاء مرة أخرى :

حاسب .. الرجل .. الذى قام بتغسيل .. ولم تستطع إكمال عبارتها .. من شدة رغبتها فى البكاء .. فأخذ منها النقود .. وانصرف بأقصى سرعة .. خشية انهيارها .. ووقفت على عتبة باب منزلها .. ونظرت إلى بيتها .. من هذا المكان .. لأول مرة .. فى تأمل .. فلأول مرة .. منذ قاما بشراء هذا القصر .. هى وزوجها الحبيب .. لا تشتاق .. إلى بيتها .. بل على العكس من ذلك .. كانت لا تريد .. أن تخطو داخله .. ولو مجرد خطوة .. واحدة .. وانقبض قلبها بشدة .. واعتصرته الأحزان .. والقهر .. والحسرة .. والآلام .. وأخيرًا .. وليس آخرًا .. دخلت إلى بيتها .. وبذلت مجهودًا جبارًا من أجل ذلك .. ثم أغلقت باب المنزل خلفها .. واستندت بظهرها عليه .. ولم تتحمل الوقوف على قدميها .. أكثر من ذلك .. فجلست أرضًا .. وهى تنتحب .. وتبكى .. فى انهيار .. ودفنت وجهها بين راحتى كفيها .. وشرعت تبكى وتبكى .. وتبكى ..

* * *

بالكاد .. استطاعت (نبيلة) .. أن تغفو قليلاً .. وتأخذ سنة من النوم فى هذا اليوم العصيب .. ولأول مرة منذ سنين .. يقوم أولادها .. بإيقاظها .. لا العكس .. واستقبلتهما .. بوجه حزين .. وحاولت أن تبتسم لهما .. وجاهدت .. ولكنها لم تستطع .. ثم سألاها .. السؤال الذى كانت تخشاه .. منذ وطئت قدماها لهذا البيت .. واعتدلت فى فراشها .. وسألاها فى صوت واحد :

أين .. أبى .. يا أمى ..؟

لماذا لم نجده فى غرفته ..؟

كيف قام .. بالمبيت فى مكان آخر .. بعيدًا عنا ..؟

واستقبلت أسئلتهم .. كالطعنات الدامية .. فى جسدها .. وصدرها .. وقلبها .. وطأطأت رأســـها .. أرضًا .. وهى تبحث عن إجابة .. وحاولت أن تكذب .. وجاهدت من أجل ذلك .. وبحثت فى عقلها .. عن أى كذبة جيدة .. ولكن قلبها .. وعيناها .. قد فضحاها .. فقد انهمرت .. الدموع غزيرة .. فى قلبها أولاً .. ثم اندفعت كالشلال .. نحو قنواتها الدمعية .. لتسيل غزيرة .. مـــن محيط عينيها .. فصعد نجلاها .. إلى فراشها .. وهما يحاولان .. احتضانها .. عندما أبصراها بهذه الحالة .. وهذا الحزن الشديد .. فضمتهما إلى صدرها .. بقوة .. وشرعت تبكى .. وتبكى فى انهيار شديد .. أشد وأقوى من كل مرة .. وحاولت أن تقول لهما .. إن والدكما .. قـــد مات .. وحاولت .. ولكنها لم تستطع .. ولم يستوعب

www.looloolibrary.com

عقلهما الصغيران ما يحدث .. وأخيرًا .. وليس آخرًا .. قالت لهما بصوت متحشرج :

إن والدكما قد مات بالأمس .. ولم يصدق الطفلان البريئان ما سمعا .. واتسعت أعينهما فى ذهول .. وسرعان ما ترقرق الدمع فى أعينهم .. بينما انتزعت (سما) .. نفسها .. من أحضان أمها .. باكية قائلة فى ثقة لم تدر مصدرها .. أو كنهها :

كلا .. إن أبى لم يمت .. لم يمت .. لم يمت .. لم يمت .. واندفعت مهرولة .. من غرفة أمها ..! صارخة بذات العبارة فى انهيار .. ودخلت غرفتها .. وأغلقت على نفسها الباب .. وهى ما زالت تردد ذلك فى همس .. بينما ارتمى (لؤى) .. فى أحضان أمه مستسلمًا .. وشرع ثلاثتهم .. يبكون .. ويبكون .. ويبكون .. فى آن واحد .

* * *

تباينت .. وتناقضت ردود الأفعال .. عقب نشر خبر — ونعى — وفاة الدكتور (إبراهيم) .. أكبر .. وأشهر جراحى القلب .. فى هذا الوقت .. ما بين حزن .. وألم .. وحسرة .. وقهر .. وما بين .. فرحة .. وتعجب .. وشماتة .. فالقسم الأول .. هم المحبون المقربون .. المخلصون .. له .. أما الذين أصابتهم الفرحة .. فكانوا من جميع الفئات تقريبًا .. فبداية .. الأطباء الذى كانوا يعملون معه .. وقلوبهم مليئة .. بالغيرة .. والحقد ..

لشهرته .. ومهارته .. وثرائه .. فضلاً عن أسلوبه الفظ .. مع الجميع .. بلا استثناء .. وأنه بموته .. سيفتح الطريق .. أمامهم .. أو أمام بعضهم على الأقل .. أما الأطباء الذين كانوا .. يعملون تحت قيادته .. وتلاميذه .. فمن أراد منهم التعلم بحق .. بغض النظر عن الأسلوب .. أصابه الحزن بحق .. أما الذين كانوا ينظرون إلى الأسلوب .. قبل التعلم .. فقد كان من الفريق الأول .. أما الممرضان .. فقد انقسموا .. إلى نفس قسمى الأطباء سالفى الذكر .. حتى (سمير) .. و(أمير) .. فالأول قد أصابه الحزن .. على موت الطبيب .. على عكس (أمير) .. وقد تعجب الكثيرون .. والكثيرون .. لطريقة موته .. أن أكبر وأعظم جراحى القلب .. قد مات بأزمة قلبية مفاجئة .. فمنهم من قال .. سبحان الله العظيم .. إنه على كل شىء قدير بحق .. ومنهم من قال : باب النجار مكسور .. أما الذين أصابتهم الشماتة .. فهؤلاء هم الحاقدون .. الحاسدون بحق .. بل إن منهم قد صلى لله شكرًا على ذلك .. أما مرضاه .. فمن كان بفضل الله سبحانه .. سببًا فى شفائه فقد أصابه الحزن عليه .. ومن عامله .. بأسلوب فظ .. فقد تابينت مشاعرهم أيضًا .

أما الأستاذ (فاضل) .. فعندما علم بالخبر .. قال فى حزن : إنا لله وإنا إليه راجعون .. ولكن لو كانت معه طبيبة فى العيادة .. وليس طبيبًا .. وفى النهاية دعا له بالرحمة .. أما المستشار (صبرى) .. عندما قرأ الخبر .. ثم أخبر زوجته قالت فى فرحة :

أحسن .. إنه يستحق ذلك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فنظر إليها فى استغراب ثم قال :

كلنا .. سنموت يومًا ما .. يا حبيبتى .. لا مهرب .. ولا مفر من الموت .. وفى النهاية دعا له بالرحمة ..

* * *

فى بيته .. بدأت الجنازة .. و زوجته .. تستقبل النساء .. فى صبر .. وتجلد .. بينما شقيقه كان يستقبل الرجال فى الخارج .. وكانت (نبيلة) .. ترى وتتعرف لأول مرة فى الجنازة .. على زوجات أصدقائه المخلصين .. زوجات كل من (مراد) .. و(خليل) .. و(شوقى) .. حيث كان زوجها .. وأصدقاؤه يرفضون .. وبشدة .. أن تتعرف هؤلاء النسوة .. على بعضهن .. البعض .. بحجة .. أن النساء إذا دخلن أمرًا أفسدنه .. وحرصًا على معرفتهم ببعضهم البعض .. وحرصًا .. على صداقتهم الطويلة .. رفضوا .. رفضًا .. قاطعًا .. أن يتعرف .. هؤلاء النسوة على بعضهن البعض .. كما تذرع أحدهم .. بأنهن إذا تعرفن على بعضهن البعض .. فإن أسرار بيوتهم ستخرج .. وستذاع على الهواء مباشرة .. وربما حصريًا .. ولكن هكذا مرت الأيام .. وأجبرتهم الظروف على التعارف .. والتلاقى .. وانتهت الجنازة .. وانصرف الجميع .. وارتمى (لؤى) .. فى أحضان أمه .. باكيًا .. وذلك بعد أن تصرف طوال اليوم كالرجال .. بينما .. أبت .. ورفضت (سما) .. فى إصرار .. غريب .. وعجيب .. أن تقتنع .. أو تصدق .. أو تؤمن بموت أبيها .. وأصرت .. على أنه لم يمت .. وأنه سيعود .. إليهم قريبًا على قيد الحياة .. وحبست نفسها فى غرفتها

الخاصة .. وأبت أن تفتح لأى أحد .. وهى تحتضن جميع صور أبيها .. وتبكى على صوره فى .. انهيار تام .. وكانت أمها .. كل ساعة تذهب إليها .. لتسمع صوتها .. خشية أن تؤذى نفسها .. أو شىء من هذا القبيل .. سيما .. وهى تعرف قدر .. ومقدار .. حبها .. وتعلقها .. بوالدها .. رحمة الله عليه .. وسألت (مراد) عن ذلك .. فأخبرها .. بأنها مجرد صدمة نفسية .. قد تستمر .. أيامًا .. وربما أسبوع .. أو أسبوعين .. ولكنها فى النهاية .. ستستسلم للأمر الواقع .. ولم يستطع ثمة أحد فى العالم كله .. بأن يقنعها بموت والدها .. نهائيًا .. على الإطلاق .. وقالت أمها فى نفسها .. إن مرارة الأيام .. والليالى .. ستقنعها يومًا .. بموت والدها .. ولكن هل ما رددته أمها .. فى نفسها .. صحيح ؟ .. هل ..؟؟

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصل السادس عشر

فجأة .. وبدون سابق إنذار .. استيقظ (إبراهيم) .. فى قبره .. نعم .. استيقظ هذا الأخير فى قبره .. استيقظ فى قلب الظلام .. الحالك .. إنه سبحانه على كل شىء قدير .. وفى تلك الأثناء .. كان هذا الأخير .. يشعر بألم خفيف .. فى قلبه .. وصداع شديد .. يصل إلى حد الانفجار فى رأسه .. وآلام خفيفة فى ظهره .. وعظام كتفيه .. ومع ذلك فلم يدرك .. ولم يستوعب .. هذا الأخير بمجرد استيقاظه .. ما حدث له .. فقد كان بالنسبة له .. ما حدث .. ــ حيث قد ظن .. آنذاك ــ أنه قد لبث يومًا .. أو بعض يوم .. والغريب .. والعجيب .. أنه لم يشعر بأدنى رغبة .. فى الاستيقاظ .. آنذاك .. ولم يشعر بالحرارة والغيرة على عمله .. مثلما يحدث .. كل يوم .. بل كان يريد الاستمرار فى النوم .. وشرع ينادى على زوجته .. وهو يعتقد وكأنه .. ينام هناك .. على فراشه الوثير .. فى بيته .. وعقر داره ..

(نبيلة) .. (نبيلة) .. اتركينى .. أنام .. ساعة أخرى .. واستعجب .. هذا الأخير .. من آلام ظهره وكتفيه .. فهذه أول مرة .. يحدث له فيها ذلك .. ولكنه لم يلق لذلك .. بالاً .. ولم يهتم .. كل ما كان يشغل باله .. آنذاك .. أن ينام مرة أخرى .. والغريب فى الأمر .. أنه قد غفا .. مرة أخرى .. وأخذ سنة من النوم .. واستيقظ مرة أخرى .. وهو فى كامل

نشاطه .. ووعيه هذه المرة .. وبعد حوالى ساعة كاملة من لحظة استيقاظه الأولى .. طفق هذا الأخير يدرك ويستوعب ما حدث له .. فى البداية اعتقد .. أنه مجرد حلم .. وربما كابوس .. ولكن الأمور .. وعندما بدأت .. تتضح رويدًا .. رويدًا .. شرع .. فى الإدراك والفهم .. سيمًا وهو مقيد .. ومكمم بكفنه .. فى البداية .. حاول التملص من قيوده .. وكفنه .. وشرعت دقات قلبه تعلو .. وتعلو .. فى عنف شديد .. سيما وهو يبغض الظلام .. وبشدة .. وهجم عليه الخوف .. والرعب .. بأقصى درجاتهما .. فقد أدرك الآن .. أنه فى قبر .. مظلم .. وأن هؤلاء الأغبياء .. الملاعين .. قد وضعوه هنا .. وتركوه .. فى هذا المكان القذر .. الرطب .. المرعب .. تركوه لهذا المصير .. البشع .. لم يصدق فى البداية أنه موجود .. فى قبره .. أو بمعنى أدق .. فقد كان لا يبغى التصديق .. فقد كان هذا .. أول ما بدر .. إلى ذهنه آنذاك .. ونسى .. وهو فى غمرة رعبه .. وغضبه .. أن القبر .. ليس وكالة .. بدون بواب .. كما يقولون .. فإن كان قد مات .. حسبما اعتقد .. آنذاك .. فسيقبض روحه .. ملك الموت .. وتتلقى روحه .. الملائكة .. سواء بالرحمة .. أو العذاب .. حتى يدخل إلى قبره هذا .. ثم تتلقاه الملائكة مرة أخرى .. لمحاسبته .. عن أعماله .. وأفعاله .. خيرًا كانت أم شر .. ولكن قسوة خوفه .. ورعبه .. جعلاه .. يعتقد .. أنه قد مات .. وشرع جسده ينتفض .. وينتفض .. مثل أرنب .. ضعيف .. قمت بتقييده .. وجعلته يشاهد سكينًا كبيرًا .. تقطر بالدماء .. ثم وضعت هذا السكين على رقبته .. وهذا المسكين ينظر .. ولا ينتظر سوى ذبحه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وشرعت الدموع تنهمر .. وتفر .. من عينيه من شدة .. الرعب .. آنذاك .. وشرع يتذكر آنذاك .. ما كان يسمعه فى الجوامع .. يوم الجمعة .. من عذاب أهل .. القبور .. أو نعيمهم .. ولكنه كان يعلم .. أن قبره لن يكون أبدًا .. روضة من رياض الجنة .. وأنه لن يكون سوى حفرة من حفر الجحيم .. بسبب فُحش أفعاله .. وعِظم ذنوبه وخطاياه .. وتذكر مصيره .. البشع المحتوم .. ههنا .. فإما .. يظل هكذا .. حتى ينتهى رعبًا .. أو جوعًا .. أو تأكله .. حشرات .. وديدان .. هذا المكان .. أو ربما .. يكون هناك نفق .. للغفران .. أو ثعبان .. وهو عارى الجسد .. ولن يستطيع .. الدفاع عن نفسه .. ههنا .. فلا مهرب .. ولا مفر .. ولا ملاذ .. ولا ملجأ .. هنا .. وشرع يتخيل .. كل ما سلف سرده .. سيما وأنه يعلم بهذه الأمور .. جيدًا .. وقرأ عنها .. فصور له رعبه .. أن هناك أشياءً .. تمشى على جسده .. وسيطرت عليه الهلاوس .. لدرجة أنه قد بدأ يسمع صوت حفر .. فى كل مكان .. وتخيل هجوم الديدان .. على لحمه .. الطازج العارى .. فى هذا المكان .. الموبوء .. وسأل نفسه .. وهو يخشى الحديث .. إذا كان هذا هو الموت ..؟ ، ..

فلماذا تأخرت الملائكة فى حسابه حتى الآن ؟

وكأنه فى مطعم .. وتأخر الطعام عليه .. ساعتها .. وساعتها .. فقط .. ألهمه سبحانه .. بأنه لم يمت .. بل عليه انتظار الموت .. ههنا فى هذا المكان .. وكان هذا .. هو أبشع مصير .. بالنسبة له .. وساعتها أيضًا ..

ألهمه اللطيف الكريم .. بقوله الحق .. الصدق .. (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .. صدق الله العظيم .. فشرع يستغفر .. ويستغفر .. ويسبح .. ويكبر .. حتى هدأت نفسه .. واطمأنت روحه وسكن جسده .. وشرع يسيطر على أعصابه .. رويدًا .. رويدًا .. بدون ثمة أدوية أو مهدئات .. أو عقاقير طبية .. وبعد أن وصل إلى مرحلة الهدوء .. والسكنية .. شرعت أحداث اليوم السابق .. تدور .. وتمشى فى رأسه .. بكهرباء .. المخ فقط .. الذى كان يبث .. بعض النور .. على ما حدث بالأمس .. وبدأ من .. النهاية .. عندما وصل إلى المطعم مع أصدقائه .. وفى أثناء جلسته معهم .. اختنق بالطعام .. ثم أصابته .. أزمة قلبية مفاجأة .. فقد معها القدرة على التنفس .. ثم أظلمت الدنيا أمام عينيه .. ولم يشعر بعدها .. بثمة شىء .. حتى وصل .. إلى ههنا .. وأدرك ما حدث له .. لقد كانت أزمة قلبية مفاجئة .. سكن الجسد بعدها .. تمامًا .. واعتقد الجميع .. أنه قد مات بالفعل .. فغسلوه .. وكفنوه .. ودفنوه .. ولكن الغريب .. فى الأمر .. أنه لم يشعر بثمة شىء .. حتى وصل إلى هنا .. وكان يجب على أصدقائه .. أن يصبروا عليه .. قليلاً .. وألا يتعجلوا .. فى الحكم عليه .. بالموت هكذا .. ودفنه ههنا .. فقد كان بمثابة حكم الإعدام بالنسبة له .. بل هو أقوى .. وأقسى .. وتذكر أن هناك حالات طبية كثيرة .. قد قرأ عنها .. ومرت بذلك .. ولكن لماذا يظلمهم .. الآن ..؟؟ وهو فى هذا المكان .. البعيد .. عن كل ظلم .. ولا يحتاج .. إلا إلى الغفران .. والاطمئنان .. فلو كان هو فى مكانهم .. كان سيصدر حكمًا بالإعدام .. بكل

Looloo
www.looloolibrary.com

غرور وتكبر .. وصلف .. ونكران .. وتذكر .. وهو فى موقفه هذا .. أنه لم يصلِّ .. فرضًا .. واحدًا .. من الفروض الخمسة بالأمس لأول مرة فى حياته كلها .. بل تذكر .. أنه لم يكن حريصًا .. فى الأصل .. على صلاته .. وطاعته مع سيده ومولاه .. كما كان حريصًا على عمله ومستشفاه .. وعيادته ونقوده .. ومرضاه .. كما تذكر حياته كلها منذ أن كان طفلاً صغيرًا .. تذكر أصدقاءه فى المدرسة .. جيرانه .. الأشخاص الذين تعامل معهم .. على مدى حياته وأقرانه .. أساتذته .. حتى وصل إلى كلية الطب .. ونبوغه فيها .. النجاح والشهرة .. اللذين وصل إليهما .. بعد مشوار ومجهـود شـاق .. وعسير .. تذكر لحظـة حصوله على الدكتوراه .. وصعوده السلم .. رويدًا رويدًا .. حتى استحصل على عيادته .. ثم بناء مستشفاه الخاص .. وفى خضم ذكرياته .. تذكر والديه .. رحمة الله عليهما .. عقوقه لهما .. قبل بره إليهما .. تذكر تعبهما وحرصهما .. وشقائهما من أجله .. تذكر أن الدهر لم يمهله .. ليرد إليهما الجميل .. والإحسان .. اللذين قاما بهما معه .. وتذكر أيضًا .. أنه حتى ولو كان الدهر .. قد أمهله .. فإنه كان لن يفعل شيئًا .. تذكر شقيقه الأصغر .. والذى لم يكن على وفاق معه منذ الصغر .. وفيما بعد .. أصبحا كالأغراب .. حيث كانا لا يجتمعان إلا فى المناسبات .. وعلى فترات .. وليس فى كل مرة .. تذكر الآن أنه قاطع لصلة الرحم .. تذكر عدم بره .. بأبناء شقيقه .. تذكر .. الفقراء والمساكين .. والمحتاجين .. الذين تنكر لهم .. طوال عمره .. وكيف كان يصاب بالامتعاض .. لمجرد مشاهدتهم .. وتحدث

أحدهم معه .. تذكر أنه لم يحسن إلى ثمة أحـد إلا قليلاً .. تذكر بغضه للتأمين الصحى .. ومرضى التأمين الصحى .. وكيـف كـان يتعامل مع الجميع ..؟

وبمنتهى القذارة .. والغرور والتكبر .. والصلف والجحود .. والنكران .. تذكر تعنته مع الموظفين .. والناس .. وصغار الأطباء .. وإساءته .. وإهانته لهم على الدوام .. ونسى .. أو تناسى .. أن كل ما كان هو فيه .. كان من فضل الله تعالى وحده .. تذكر أن مصلحته الشخصية كانت تعلو على كل شىء .. تذكر عم .. (إسماعيل) .. الذى كان جُل ما يتمناه .. أن يقوم هو بإجراء العملية له .. ، ثم مات .. قبل تحقيق .. أمنيته .. تذكر الرجل العجوز الذى رفض توقيع الكشف الطبى عليه .. ثم مات .. على سلم عيادته .. صحيح أن إرادة الله سبحانه وتعالى لا راد لها .. وأن هذا الرجل العجوز كان سيموت .. ما دام قد أراد له سبحانه ذلك .. ولكنه لم يفعل ما عليه .. ما حارب .. وقاتل .. وترك الصلوات .. واجتهد وذاكر .. حتى ضاعت عيناه .. من أجل ذلك .. إنه لم يحصل على شهادته عبثًا .. لم يحصل على شهادته للاتجار بها .. تذكر نقوده .. وملايينه التى تملأ .. البنوك .. ومع ذلك كان يمتعض أيضًا .. عند إخراج .. فرض الزكاة .. تذكر أن صدقاته كانت قليلة .. تذكر كيف كان يتشاجر مع زوجته .. من أجل ذلك .. ثم تذكر أولاده اللذين لن يراهم مرة أخرى .. ثم تذكر حبيبته وعشيقته .. زوجته .. الرءوم .. تذكر حبها وإخلاصها .. وطاعتها .. وطاعتها .. ثم طاعتها .. كان الكلام .. يتردد داخل نفسه لأنها تستحق ذلك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

تذكر علاقته بها منذ البداية .. منذ كانا طلبة فى كلية الطب .. حيث كان يسبقها بعامين كاملين .. وأنه تعرف عليها .. عقب انتهاء .. إحدى المحاضرات .. لأحد أكبر وأشهر .. جراحى القلب آنذاك .. تذكر أنه ساعدها .. على أن تحصل على الدكتوراه .. تذكر لحظاتهما الجميلة معًا .. والدافئة بينهما أيضًا .. تذكر كيف كانت مجندة له وحده .. منذ بداية معرفتهما ..

وعلاقتهما .. معا ..

* * *

الفصل السابع عشر

تذكر .. كيف كانت تعامله .. وتهرول إليه .. وتقابله باللهفة .. والأشواق .. بينما كان يعاملها هو بمنتهى الجفاء .. فى أحيان كثيرة .. تذكر .. أنها .. لم ترفض له يومًا طلبًا .. ولم تكسر له .. أمرًا .. حتى وهى فى مرضها .. تذكر أنها قد ضحت كثيرًا .. وكثيرًا من أجله .. من أجله .. هو وحده .. تذكر .. أنها قد ضحت بشهادتها الطبية .. والعلمية .. وتركت وظيفتها .. عن طيب خاطر .. بعد حملها مباشرة .. بمجرد أن طلب منها هو ذلك .. تذكر .. خدمتها له .. طوال السنين الماضية .. تذكر .. حضنها الأخير .. له .. بالأمس .. تذكر هذا الحضن الأخير .. لهما .. وكيف كان أدفأ .. وألين .. وأجمل .. وأحن .. حضن لها .. إليه .. ربما منذ بداية زواجهما .. وكأنها كانت تشعر بأنه سيكون الحضن الأخير .. بينهما بحـق .. تذكر لهفتها .. وشـوقها .. إليـه .. انتظارها له على الدوام .. حتى يعود من الخارج .. وكالعادة .. كيف قابل .. هو هذا الحنان .. وهذه اللهفة .. بمنتهى الجفاء .. والرعونة والبرود .. والاستهانة .. تذكر أنه قد استقبلها بظهره آنذاك .. ولم يلف .. ولم يدر .. ليرتمى ويرتوى .. من دفء هذا الحضن الأخير بينهما .. تذكر أنها كانت له على الدوام .. ظهره فى هـذه الدنيـا .. الجافة .. وسـنده .. فى أيام المحنـة .. أما قلبها .. فكان الوسادة الحريرية له .. على الدوام .. لم يتسع لغيره .. ولم يشمل سواه .. بل لقد كان عندها أفضل من أولادها .. فلذات أكبادها ..

Looloo
www.looloolibrary.com

بحق .. ولو كان يعلم كل ذلك .. و لو كان يعلم ما سيحدث له .. آنذاك .. ما كان قد فرَّط .. أبدًا .. أبدًا .. فى هذا اللقاء .. وهذا الحضن الأخير بينهما .. وشرع يتذكر .. ويتذكر .. ويتذكر .. ثم شرع يبكى ويبكى ويبكى .. بل شرع ينتحب .. وينتحب .. ويصرخ ويستغيث .. برب الأكوان .. وخالق الوجود .. وابتل كفنه .. قبل وجهه .. من شدة البكاء .. وهو يصرخ .. ويستغيث به .. ويتأوه ويجأر .. إليه سبحانه وحده بالتوبة .. فقد أدرك عدم جدوى .. الصراخ .. أو النداء .. أو الاستغاثة بأى أحد سواه .. وحده .. وأنه لن ينفعه .. ولن يشمله .. بل ولن يتسع له .. الآن سوى رحمته وحده سبحانه ...

فهل سينالها ..؟

هل يستحقها ..؟

وأجاب على نفسه نفيًا .. فهو لا .. ولن يستحقها .. بأى صورة من الصور .. وبأى شكل من الأشكال .. واستحى .. آنذاك .. حتى أن يقول .. أستغفر الله العظيم .. مرة أخرى .. وذلك لشدة وعظم .. وقسوة خطاياه .. وذنوبه .. التى لا تعد .. ولا تحصى .. وبعد أن أخذ وقته فى البكاء والنحيب .. وأصابه التعب الشديد .. من قسوة البكاء .. والنحيب .. على نفسه .. وذنوبه .. وبيته .. وفراشه .. وزوجته .. وأولاده .. وتوقفت عضلات وجهه .. وفكيه .. وبعد أن أدرك جيدًا .. مكانه .. ومكانته الآن .. وأدرك أنه اليوم .. الذى لا ينفع فيه مال .. ولا بنون .. ولا صاحب .. ولا زوجة .. ولا صديق .. إلا من أتى الله العظيم سبحانه بقلب سليم ..

وعمل صالحًا .. يؤهله .. إلى استحقاق .. رحمته وجنته .. وتذكر فى هذه اللحظة أيضًا .. أنه حتى لا يعلم .. الوقت .. فهو لا يعلم كم مر عليه من الوقت ههنا .. لا يعلم عدد الأيام والليالى .. والساعات .. التى قضاها فى هذا القبر .. المظلم .. لا يعلم حتى عدد الساعات .. منذ أن استيقظ .. فى هذا القبر المظلم .. وتذكر أنه حتى لا يعلم .. متى سيخرج منه ..؟ وهل سيكتب له سبحانه النجاه من هذه المحنة ..؟ هل سيخرجه سبحانه بقدرته .. من هذه الأزمة .. وهذا الابتلاء الشديد ؟ . ترى .. وهل يستحق الخروج ؟ ترى .. ولو خرج ..؟ ومنَّ عليه سبحانه .. وأعطاه هذه الفرصة الثانية .. هل سيحسن استغلالها .. واقتناصها .. وشرع يقسم على نفسه بأغلظ الأيمان .. بأنه سيفعل ذلك وسيعود إنسانًا جديدًا .. ثم طفق يدعوه ويدعوه سبحانه .. ويسأله النجاة .. من كائنات وحشرات هذا المكان الموبوء .. ثم شرع يدعوه سبحانه .. صارخًا .. مقسمًا .. مرة أخرى .. لئن انجاه من هذا المكان .. ومن هذه المحنة الشديدة .. ليعودن كائنًا جديدًا .. بل إنسانًا جديدًا .. مناقضًا تمامًا لما كان عليه سابقًا .. ثم تذكر قول الحق فى سورة المؤمنون : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلى أعمل صالحًا فيما تركت * كلا إنها كلمة هو قائلها * ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ .. (الآيتان 99 ، 100) .. وأدرك أنه كاذب .. من أجل النجاة .. فشرع يصرخ ويستغيث .. مقسمًا بأغلظ الأيمان .. ليعودن إنسانًا جديدًا .. وسوف يصلح كل الأفعال البغيضة التى فعلها فيما سبق .. وطوال ساعة كاملة ظل يناجيه .. ويستصرخه .. حتى ألهمه سبحانه وتعالى .. قوله الحق :

Looloo
www.looloolibrary.com

﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدرعليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت مـــن الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ (الآيات 86 : 87 من ســورة الأنبياء) .. فشرع يقول : ويردد ﴿ أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ (آية 83 من سورة الأنبياء) ، و﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ ، طوال .. خمس ساعات كاملة .. لم يكل .. ولم يمل .. ولم ييأس .. ولم يقنط .. من رحمته تعالى .. والغريب .. والعجيب .. أنه لم يشعر بالجوع إلا قليلاً .. ثم حدثت المعجزة .. حيث مات أحد الأشخاص .. فى القبر المجاور له تمامًا .. حيث كان الوقت .. بعد شروق الشمس بقليل .. وتناهى إلى سمعه .. صوت الحفر .. بجواره .. فلم يصـــدق نفســـه .. ولم يصـــدق أذنيه .. وشرع يحمده ويشكره سبحانه أولاً .. على ذلك .. ثم شرع يصرخ .. ويستغيث .. وقد أدرك أنه سبحانه .. بقدرته .. وعفوه .. ورحمته .. قد استجاب له .. ونجاه من الغم .. فى البداية .. كان الحفار .. يسمع .. صوتًا بعيدًا .. فخاف وأصابه الرعب الشديد .. خشية .. أن يكون أحد الجن .. الساكنين .. لهذا المكان .. فشرع ينتفض .. ويرتعش .. وتوقف عن الحفر .. وكان الناس من ورائه .. يكبرون .. ويستغفرون .. ويوحدون للميت الذى بحوزتهم .. فصرخ فيهم .. لكى يصمتوا تمامًا .. وألهمه الله سبحانه وتعالى .. القوة .. والقدرة على الثبات .. والاستكمال .. وطوال دقيقة كاملة .. أو يزيد .. ظل هذا الحفار .. ينصت .. وينصت .. حتى استيقن هـــذا الأخيـــر .. أنه صوت بشرى .. وليس ثمة أحد آخر .. والناس من حوله فى عجب من أمرهم .. وفى أنفسهم .. شرعوا يتساءلون ..!

ماذا أصاب هذا الحفار ..؟

ماذا يفعل هذا الرجل ..؟

ماذا حدث .. جعله يفعل ذلك ..؟

وهمس أحد الواقفين لآخر بجانبه .. هل هذه هى أول مرة ..؟ يقوم فيها هذا الحفار بعمله .. فأجابه الآخر بكل ثقة : كلا .. إنه يقوم بهذا العمل .. منذ ثلاثين عامًا .. وطـــوال الدقيقة التى توقف فيها الحفر .. أصيب (إبراهيم) فيها بالرعب الشديد .. خشية .. أن يمشى .. أو يتجاهله هذا الحفار .. فشرع يبكى .. ويبكى .. ويبكى .. بعد أن اعتراه الأمل .. وشرع يدعوه .. ويناجيه .. ويستصرخه مرة أخرى .. وهو ينادى .. ربه بكل قوة .. وألهم سبحانه وتعالى الحفار .. اتخاذ القرار .. فشرع يحفر .. فى القبر .. الذى ينبع منه الصوت .. وكلما كان يحفر .. أكثر .. وأكثر .. كلما اقترب الصوت أكثر .. وأكثر .. حتى وصل الحفار .. إلى مصدر الصوت بالتحديد .. ومن خلال فتحة صغيرة .. انطلق منها بصيص الأمل .. مع صوت الحفار .. وهو يقول فى رعب :

من هنا .. هل يوجد ثمة أحد هنا ..؟

ولم يصدق (إبراهيم) أذنيه مرة أخرى .. فشرع يبكى .. ويبكى .. ويبكى .. وحاول الكلام .. ولكنه لم يستطع .. من شدة التعب .. والبكاء .. فقد ذهب صوته من شدة المناجاة .. وقسوة الصراخ .. ولكن الحفار .. لم

Looloo

يرجع .. وألهمه سبحانه الثبات .. الثقة .. مرة أخرى .. وبصوت مبحوح .. واهن .. متحشرج .. شرع يقول فى ضعف :

أنا هنا .. أنا هنا .. أنا هنا .. أنا على قيد الحياة .. واستيقن الحفار مرة أخرى .. من أنه إنسان بشرى .. قد تم دفنه حيًا .. ولم يهتم بالأسباب .. وبدلاً من حفر قبر واحد .. أعطاه سبحانه القوة .. والعزيمة .. لحفر .. قبرين .. حتى وصل إليه .. وسأله الحفار قبل أن يلمسه .. فى رعب .. وهو يتظاهر بالقوة :

من أنت ..؟

فأجابه (إبراهيم) وبذات اللهجة الواهنة الفرحة :

أنا الدكتور (إبراهيم .. م .. أ) .. ولقد تم دفنى هنا بالخطأ .. حيث اعتقد الجميع .. أننى قد مت .. واستدرك قائلاً مقسمًا : ولكننى أقسم لك أننى على قيد الحياة .. أقسم لك ..

فنادى الحفار .. على (سلطان) .. وهو أحد المتطوعين .. مع الميت الآخر .. فنزل (سلطان) إلى قبر (الطبيب) ، الذى لم يكن يصدق نفسه .. حتى قام هذان الشخصان .. بلمسه .. ورفع الكفن عن وجهه .. ثم حملاه ودفعاه إلى خارج القبر .. وكان (إبراهيم) .. يبكى بشدة .. غير مصدق .. كل ما يحدث .. حوله .. ورويدًا .. رويدًا طفق .. يبصر .. النور .. وشرع يخرج من الظلام .. إلى النور .. وتساءل الحاضرون عما يحدث مرة أخرى .. وبدأ (إبراهيم) .. يزحف ليخرج من قبر الشخص الآخر ..

حتى ظهرت رأسه .. وأبصر النـور .. ليس كاملاً .. من شـدة ازدحام الناس .. ولم يصدق الحاضرون .. ما حدث .. ولم تتحمل عيناه .. نور الشمس الساطعة .. بعد أن ظل فى الظلام طوال كل هذه الفترة .. وهلل .. وكبر .. وسبح الحاضرون .. لما حدث .. فهى معجزة حقيقية .. أن تحفر قبرًا .. لدفن شخص ما .. فيكون .. ذلك سببًا فى خروج آخر .. وبمجرد خروج (إبراهيم) .. من عالم الظلام إلى عالم النور .. ومشاهدته الشمس .. مرة أخرى .. وشم رائحة الدنيا .. مرة أخرى .. وبالنسبة له .. كانت أطيب وأزكى رائحة .. ولم يستطع قلب (إبراهيم) تحمل كل هذا .. فسقط مغشيًا عليه .. وكان أحد الحاضرين يعرفه .. وفى نفس السيارة التى أحضروا فيها الميت الآخر .. انطلقوا بها إلى مستشفى الدكتور (إبراهيم) .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الفصل الثامن عشر

فى أثناء الطريق إلى المستشفى الخاص .. بهذا الأخير .. وقبل الاقتراب من المستشفى بدقائق .. استفاق (إبراهيم) .. من إغمائه .. وكان معه اثنان فى السيارة .. وأعطاه أحدهما الجاكت الخاص به .. وفتح هذا الأخير عينيه بصعوبة .. وتحدث معه هذان الشخصان .. فى فرحة مبتسمين :

حمدًا لله على سلامتك يا (دكتور) ..

فأجابهما فى بساطة .

شكرًا لكما ..

ثم أدار وجهه للناحية الأخرى .. وأغلق عينيه .. حيث ادرك .. أن ما حدث له هو معجزة بكل المقاييس .. بل هى أكبر معجزة بحق .. أو بمعنى أدق .. هى فرصة ثانية .. قد منَّ عليه بها الحنان المنَّان .. يجب اقتناصها .. وعدم التفريط فيها .. وشرع يردد فى نفسه .. حتى وصلوا .. إلى المستشفى .. يجب اقتناصها .. وعدم التفريط فيها .. يجب اقتناصها .. وعدم التفريط فيها .. وعند بوابة .. المستشفى .. التى يرقد صاحبها فى ضعف فى السيارة .. رفض أفراد الأمن .. وبشدة .. عبور هذه السيارة إلى الداخل .. على الرغم من أن الأشخاص المصاحبين له .. قد أخبروا أفراد الأمن .. بأن الشخص الذى يرقد فى السيارة .. هو الدكتور (إبراهيم) شخصيًا .. صاحب هذه المستشفى .. فسخروا منهم أفراد الأمن بالطبع .. ثم قال أحدهم بلهجة لاذعة :

حتى ولو كان صاحب المستشفى .. ــ فهذه تعليماته .. ونحن عبد .. المأمور .. ونقوم بتنفيذها بالحرف الواحد .. ونثبت مشاجرة صغيرة .. فيما بين الطرفين .. أفراد الأمن .. وأهل الخير .. الذين اقتادوه إلى مستشفاه الخاص .. وتذكر تعليماته لهم جيدًا .. آنذاك .. لا يجوز دخول أى سيارة للمستشفى .. إلا سيارات الأطباء .. والعاملين فى المستشفى .. وكذا سيارات الإسعاف الخاصة بالمستشفى .. سيما وأنه يوجد جراح كبير .. فى بدروم المستشفى من أجل ذلك .. وأصر أفراد الأمن .. على عدم دخول السيارة .. التى تحمل رئيسهم إلى المستشفى .. واحتدم النزاع .. فيما بينهم .. فهمس (إبراهيم) .. لقائد السيارة .. الذى رفض التدخل فى هذا الأمر .. وكأن هذا الأمر .. لا يعنيه .. من قريب أو بعيد .. ثم قال له :

انزل .. واطلب .. من أحد أفراد الأمن .. أن يأتى إلى هنا ليشاهدنى لكى يصدق .. وكان (إبراهيم) .. بخروجه من القبر المظلم .. وعودته إلى الدنيا من جديد .. ونجاته .. وإخراجه سبحانه برحمته من هذا البلاء العظيم .. جعلاه يسترد بعضًا من حيويته ونشاطه .. وفرحته .. ونزل السائق .. على مضض .. وفعل ما طلب منه (إبراهيم) .. وعلى مضض أيضًا حضر أحد أفراد الأمن .. ويدعى (فارس) .. وكان يعلم بأمر موت صاحب المستشفى .. وفوجئ عندما نظر إلى داخل السيارة .. بوجود صاحب المستشفى مُسجى على ظهره .. مستيقظًا يقول له فى سعادة ممزوجة بالوهن :

كيف حالك .. يا (فارس) ..؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ولم يستطع هذا الأخير .. الرد .. أو الإجابة .. فقد ألجمته .. وأخرسته المفاجأة بحق .. إلا أنه سرعان .. ما تجاوز هذه المفاجأة القوية .. وسلم على الطبيب فى حرارة .. غير مصدق ما تراه كلتا عينيه .. وعن طريق جهاز اللاسلكى .. أرسل إشارة إلى غرفة الطوارئ فى المستشفى .. وقبل أن يكمل (فارس) عبارته .. بوصول صاحب المستشفى .. همس له هذا الأخير قائلاً :

لا تخبرهم .. من أنا .. فقط .. قل أحد المرضى .. فى حالة خطرة ...

وحضر المسعفون على وجه السرعة .. وألجمتهم المفاجأة .. بلا حدود .. ورحبوا به غير مصدقين .. وشكر (إبراهيم) .. هؤلاء .. المتطوعين .. جزيل الشكر .. على جميل صنعهم .. وحمله المسعفون على محفتهم .. إلى حيث غرفة العناية المركزة .. بالطابق الأول .. وقبل التحرك .. أصدر أول أوامره .. بالتغيير إلى طاقم الأمن .. بالسماح منذ الآن لأى سيارة تحمل أى مريض .. بعبور البوابة .. ودخول المستشفى .. وكانت الساعة قد تجاوزت الثامنة صباحًا تقريبًا .. ووصل الخبر إلى صديقيه الدكتور (مراد) .. و(خليل) .. وبالطبع لم يصدق هذان الأخيران ما سمعاه .. وطارا على جناح الريح .. وبرفقتهم بعض الإداريين .. والعاملين .. وبالطبع .. بعض الأطباء .. والطبيبات .. اللذين ما زالوا فى مرحلة التدريب .. وعند غرفة العناية .. تقابل الجميع .. ولم يصدقوا أنفسهم ولا أعينهم فى البداية .. كيف حدث هذا ؟ لقد شاركوا بأنفسهم فى مراسم الدفن .. ولكنهم تجاوزوا .. كل هذا .. وانكبوا على صديق العمر .. بالأحضان .. والقبلات .. والدموع .. وبالطبع شاركهم (إبراهيم) .. كل

هذا .. وطوال خمس دقائق كاملة .. لم تتوقف الدموع لحظة واحدة .. سواء من الأصدقاء .. أو من المتفرجين .. الذين ما زالوا .. يتساءلون ..

كيف حدث هذا ..؟

بينما الذين كانوا مستاءين .. منه فى حياته .. فقد تظاهروا بالفرحة والسعادة .. فقط .. وبعد أن انتهت لحظات المشاعر الفياضة .. انفرد الأصدقاء ببعضهم البعض .. فى غرفة العناية المركزة .. وبعد تعليق المحلول الملحى له .. ووضع بعض جرعات الفيتامينات فيها .. وبالطبع طلبوا منه سرد ما حدث .. فروى لهم كل ما حدث بإيجاز شديد .. ثم سألهما مبتسمًا :

من منكما .. الذى قام بتوقيع الكشف الطبى على .. وقام بإصدار حكم الإعدام على .. فطأطأ الاثنان .. كل منهما رأسه أرضًا .. من شدة .. الخجل .. والحياء .. فقال لهما مبتسمًا :

لا عليكما .. إنها إرادة الله سبحانه وتعالى .. واستطرد كلامه قائلاً : المهم الآن .. (مراد) .. اتصل بـ (سعيد) .. ولا تخبره بثمة شىء .. فقط قل له .. إن هناك شيئًا مهمًّا .. والمستشفى تحتاج إليه وإلى الزوجة .. وأن المستشفى تحتاج إلى غيار كامل لى .. وحلة .. أنيقة .. للخروج .. فقد كان (إبراهيم) يبغى مفاجأة زوجته .. واتصل (مراد) بـ (سعيد) .. وأملاه ما أمر به (إبراهيم) .. وبعد حوالى ربع ساعة تقريبًا .. اتصلت زوجته .. بـ (مراد) .. لتسأله عن سبب ما طلبه .. فأخبرها .. عندما تحضرين .. ستعرفين .. وأصابها الشك فى مقتل .. ولعب الفأر .. فى

www.looloolibrary.com

رأسها ونفسها .. كما يقولون .. ولكنها لم تملك من أمرها شيئًا .. واستجابت لصديق زوجها .. على مضض .. ولم يخطر ببالها قط .. بأن زوجها ــ حبيب العمر ــ ما زال على قيد الحياة .. وذهبت مع (سعيد) إلى هناك .. وقام (مراد) .. بالتنبيه .. على أفراد البوابة .. عندما تحضر الزوجة .. فلا يخبراها بثمة شيء .. بل انطلق فى المستشفى .. وشرع يقوم بالتنبيه على كل شخص .. يقابله فى المستشفى .. بذلك .. ثم اتصل بـــ(سعيد) .. وسأله متظاهرًا بالثقة والبرود :

أين أنت الآن .. يا (سعيد) ..؟

فأجابه هذا الأخير .. عشرة دقائق .. وسأكون عندك ..

وعلى الرغم من أن الأمر قد أثار ريبة .. وشك (سعيد) !! ولكنه لم يجل بباله قط .. أيضًا .. أن يكـون سيده ومخدومه على قيد الحياة .. ووصل الاثنان إلى المستشفى .. وكان (مراد) فى الأصل .. فى شرف استقبالهما عند البوابة .. ومشى معهما .. حتى باب غرفة العناية .. ثم قال لها فى فرحة ممزوجة بالبهجة :

فى الحقيقة .. هناك شيء .. نتمنى جميعًا .. أن يكون سببًا فى إسعادك .. ثم فتح باب الغرفة .. فجأة .. وخطت بقدمها اليمنى إلى الداخل .. ثم فجأة وجدت زوجها الحبيب جالسًا فى فراشه .. يقول لها مبتسمًا :

كيف حالك .. يا زوجتى الحبيبة ..؟ لقد اشتقت إليك كثيرًا .. فشهقت هى بأقصى .. قوة .. وانخلع قلبها .. مثل ورقة جافة .. فى مواجهة ريح صرصر .. عاتية .. وسقطت من الفرحة .. فاقدة الوعى .. وانقلبت الآية ..

فقد قام (مراد) .. بإسنادها .. وسرعان ما أخرج (إبراهيم) .. إبرة المحقن من ذراعه .. ثم انطلق إلى زوجته .. ونسى الكل (سعيد) .. الذى قال فى فرحة باكيًا :

حمدًا لله على سلامتك .. يا سيدى ..

وكم تمنى أن يرتمى فى أحضان سيده .. ويبكى .. ويبكى من شدة الفرحة .. ويقبل كلتا يديه من شدة السعادة .. ولكن أدرك أن سيده مشغول الآن بزوجته .. فوقف بجوارهم صامتًا .. ثم قام (إبراهيم) بطرد الجميع من الغرفة .. لكى ينفرد بزوجته .. وبعد دقائق .. وبعد أن اطمأن على قلبها .. قام برش الماء على وجهها .. فاستفاقت .. والدموع فى عينيها .. وارتمت فى أحضانه .. وارتمى فى أحضانها .. وشرعا يبكيان .. ويبكيان .. بل ويرتويان .. ويرتويان .. ثم وضعت يديها بمنتهى الرقة على جانبى وجهه .. وهى تنظر إليه مليًا .. وهى تتساءل فى تردد :

ولكن .. كيف ..؟

فقال لها فى عشق ممزوج بالهيام :

فيما بعد .. يا حبيبتى .. فيما بعد .. ثم ارتمى فى أحضانها مرة أخرى .. وشرعت هى تبكى .. وتنتحب على صدره .. وتشهق .. وتشهق .. وخاف عليها .. فسحب نفسه منها بمنتهى الهدوء قائلاً :

اهدئى .. يا حبيبتى .. أنا بجوارك .. اهدئى .. وكأنما قلبها .. طوع يديه .. وأوامره .. فقد هدأت .. وسكنت .. رويدًا .. رويدًا .. وبعد حوالى عشرة دقائق كاملة .. شرع فى ارتداء ملابسه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وطرق (مراد) عليهما الباب .. وفتح (إبراهيم) .. الباب .. وهو بكامل أناقته .. وارتمى (سعيد) أخيرًا فى أحضان سيده .. وشرع يبكى ويبكى .. ثم قبل يد سيده .. واحتشدت المستشفى بالكامل .. تقريبًا .. عند باب الغرفة .. وسلم الجميع على (إبراهيم) .. بالأحضـــان والقبـــلات .. ما عدا النساء ــ بالطبع ــ وودع (إبراهيم) الجميع .. وتأبط يد زوجته الحبيبة .. ثم ركبا السيارة من الخلف .. وانطلقا إلى حيث مدرسة نجليهما .. ودخل (سعيد) إلى المدرسة .. لإحضارهما .. وافهم مدير المدرسة سبب إحضارهما فى هذا الوقت .. وتعجب المدير .. بالطبع .. من هذا الأمر .. وتساءل الطفلان فى تعجب عن سبب ذلك .. وباقتضاب أجاب (سعيد) :

ستعرفون عما قريب ..

ولأن السيارة كان بها .. ستائر من الخلف .. فلم يشاهد الطفلان والدهما .. وتقدمهما (سعيد) .. ثم فتح الباب فجأه .. أمام الطفلين .. وهما ما زالا .. على بعد .. .. حوالى خمسة أمتار من السيارة .. أو يزيد .. ونزل الأب .. من السيارة .. ووجهه يحمل أكبر ابتسامة فى الوجود كله .. ووقف الطفلان فى جمود .. من هول .. وعظم أثر المفاجأة ..

السارة بالتأكيد .

* * *

الفصل التاسع عشر

وانطلق الطفلان .. يتسابقان كالريح .. إلى أحضان والدهما الحبيب .. وكالعادة سبقها (لؤى) .. إلى والده .. الذى حمله هذا الأخير .. وانهال نجله على وجهه بالقبلات .. وترقرق الدمع فى عينى الجميع .. ثم أنزل (لؤى) فى حنان .. ونظر إلى عينى حبيبته (سما) الباكيتين .. والتى تجمدت مكانها .. ولم تستطع التحرك .. فاندفع والدها إليها .. ومسح دموعها بأنامله فى رقة .. ثم أمسك جانبى وجهها فى حنان قائلاً :

ماذا بك يا (ســما) ..؟ ألست سعيدة بعــودة والدك ..؟ فقالت فى انهيار :

كنت أعلم أنك على قيد الحياة .. أقسم لك .. فارتمى كل منهما فى أحضان الآخر .. وشرعت تبكى .. وتبكى .. وتنتحب .. فى أحضان والدها .. وسرعان ما ركب الجميع فى السيارة .. ثم انطلقوا .. إلى بيتهم .. الذى اشتاق إليه الجميع بحق .. وهناك جلس الجميع .. فى فرحة .. وسعادة .. جامحة .. وقامت الزوجة .. بتحضير .. سندوتشات سريعة .. لزوجها .. مع بعض العصائر الطازجة .. وشرع الأب يلتهم طعامة .. فى شراهة .. حتى أن أولاده شرعوا يضحكون عليه .. فهذه هى أول مرة .. يشاهدون والدهم يأكل بهــذه الطريقة .. ولكنــه كان جائعًا .. لدرجة لا يتصورها عقل .. فهو لم يأكل لمدة يوم كامل تقريبًا تقريبًا .. واشتركت الزوجة فى الضحك مع أولادها .. ولم يهتم هو بذلك .. فقط .. اكتفى بالابتسام لهم .. وسأله (لؤى) فى لهفة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ماذا حدث لك .. يا أبى ..؟

فنهرته أمه قائلة :

(لؤى) .. انتظر حتى ينتهى والدك .. من طعامه ..

ثم أردفت كلامها .. مبتسمة .

ألا ترى كيف .. يأكل طعامه ..؟

واشترك الجميع .. فى الضحك .. مرة أخرى .. وقامت (سما) بنقل كرسيها بجوار والدها .. ثم أمسكت ذراعه .. خشية أن يضيع منها مرة أخرى .. وسرعان ما انتهى الأب من طعامه .. ثم قال الأب فى جدية :

بمناسبة عودتى الحميمة لكم .. أيها الأبناء الأعزاء .. فقد اتخذنا عدة قرارات هامة .. وجدية .. وعلى الجميع تنفيذها .. والاستسلام لها .. سواء طوعًا .. أم كرهًا .. أولاً : منذ اليوم .. لا ولن أستطيع الاستغناء عن أمكما .. فنظر إليه الجميع فى تساؤل .. فأردف كلامه مبتسمًا :

أمكما .. ستصبح شريكتى .. فى المستشفى .. والعيادة .. ولن تكون مجرد شريكتى .. فى البيت فقط .. ففرحت الأم بذلك وتبادلت نظرة عشق وهيام .. وامتنان مع زوجها .. الحبيب .. ونظر نجلاهما إليهما فى عشق ممزوج بالحنان ..

إلا أن (لؤى) قال فى اعتراض مداعبًا :

ولكن .. يا أبى .. نحن لا نستطيع الاستغناء عنها ..

فنظر (إبراهيم) .. إلى زوجته فى هيام :

إن كنت أنت لا تستطيع الاستغناء عنها قيراطًا .. فأنا منذ الآن .. لا أستطيع الاستغناء عنها .. مليون مليار .. قيراط .. وتضرج وجه الزوجة بحمرة الخجل .. ونظرت إليهما (سما) .. فى حب .. فرفعت يدها اليمنى .. قائلة فى عشق لوالديها :

أنا .. موافقة .. فنظر الأب إلى نجله فى عتاب .. الذى تظاهر بعدم الرضا فى البداية .. وسرعان ما اندفع الأطفال .. أحدهما إلى الأب .. والثانية إلى الأم .. و ارتمى الجميع فى أحضان الآخر .. فى سعادة وبهجة ورضا .. واستكمل الأب كلامه قائلاً .. ثانيًا : سنحاول فى الأيام القادمة .. إحضار شقيق .. أو شقيقة أخرى لكما .. ففتحت الزوجة عينيها ــ فى ذهول ــ واندفع دماء الخجل إلى وجهها .. فزادها فى نظر الجميع .. وضاءة .. وجمالاً .. على جمال .. سيما وقد زال ذبولها .. لما رأت حبيبها .. وعشيقها وزوجها .. وقرة عينيها .. وفؤادها .. وشرعت تضحك فى خجل .. فأكمل الأب : ثالثًا : سنسافر أنا وأمكما .. إلى عمرة لله تعالى .. خلال الأيام القادمة .. فاعترض .. (لؤى) بقوة هذه المرة :

وهل ستتركوننا فى أيام الامتحانات ..؟

فوجه (الأب) كلامه إلى نجله باسمًا :

أولاً : لا يوجد سواك يعترض على قراراتى كلها .. ثانيًا : ثم وجه الكلام إلى زوجته فى تساؤل :

هل كان رجلاً .. عندما لقيت حتفى ..؟

فأجابته زوجته وهى تنظر إلى نجلها فى امتنان :

لقد كان نعم الرجل ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فقال الأب وهو يغمز بعينه اليمنى :

ثم إن رحلة العمرة .. سيأتى بعدها رحلة فرنسا .. وهنا قفز (لؤى) .. وتعلق برقبة والده .. وهو يقبله فى حنان وامتنان .. قائلاً : شكرًا .. شكرًا .. لك يا أبى .. وأنا آسف جدًا .. جدًا .. على اعتراضى .. وأعتذر لك عن .. إساءتى .. فقبل والده .. رأس نجله .. ثم قال :

هيا .. كلٌ إلى غرفته .. لا نريد إضاعة .. الوقت ..

ثم صعد الزوجان .. إلى غرفتهما .. ثم شرع يتوضأ .. ثم صلى صلاة الصبح .. وأعقبها صلاة شكر .. بينما كانت هى تنتظره فى صبر على السرير .. ثم سألها فى اهتمام .. وقد انتهى تقريبًا من صلاته :

كم الساعة الآن ..؟

فأجابته على الفور :

لقد تجاوزت .. الحادية عشر صباحًا ..؟

فأمرها بأن تتصل بشقيقه .. لزيارته .. ففعلت ما أمرها به .. واستجاب لها شقيقه (أشرف) على الفور .. حيث أخبرته بأنها تريده .. فى موضوع عاجل .. وضرورى .. واستحصل هو على دش دافئ .. وارتدى كلاهما .. ملابسهما الأنيقة .. واتجه إلى شقيقه الأصغر لمصالحته .. وفى خلال ساعة تقريبًا .. كانا يقفان أسفل منزله .. وفى خلال الطريق .. روى لها ولـ (سعيد) .. كل ما حدث له منذ كان فى المطعم مع أصدقائه .. وحتى حضورها إليه فى المستشفى .. ودمعت عيناها .. هى .. و(سعيد) .. مما حدث .. ولقدرته سبحانه على كل شىء .. وطرقت هى الباب .. وفتح (شقيقه) .. ثم فوجئ بوجود شقيقه الأكبر .. يزوره منذ سنين ..

واحتضن كلاهما الآخر فى قوة .. وترقرق الدمع فى أعينهم .. وشرعا .. يرتويان .. ويرتويان .. و(أشرف) غير مصدق لما حدث .. فقد أشرف على تغسيله .. ودفنه .. بنفسه .. وقبَّل (إبراهيم) .. رأس شقيقه .. واعتذر له كثيرًا .. وطلب منه الصفح .. والسماح .. على ما بدر منه .. خلال الأعوام الماضية .. سيما وأن (إبراهيم) لم يزر شقيقه .. منذ سنين طويلة مضت .. وفرحت زوجة شقيقه الأصغر (ريهام) .. بتلك الزيارة غير المتوقعة .. ولأول مرة منذ سنين .. جلست هذه الأسرة الصغيرة .. فى سعادة .. وفى فرحة .. وكان الجميع يتكلم بسلاسة .. وتلقائية .. وحاول (أشرف) مع شقيقه الأكبر .. حتى يتناولا .. وجبة الغداء .. مع بعضهما البعض .. إلا أن (إبراهيم) قد رفض فى قوة .. لأن وراءه مشاغل كثيرة .. وأصر هذا الأخير على دعوتهما .. وأولادهما .. على العشاء .. هذه الليلة .. وانصرف الشقيق الأكبر .. وقد تصافت القلوب أخيرًا .. وعاد هذا الأخير هو وزوجته .. إلى حيث منزلهما .. ثم صلى الزوجان صلاة الظهر .. فى جماعة .. لأول مرة منذ سنين .. ثم ذهب إلى النوم .. وطلب منها إيقاظه بعد صلاة العصر بساعة .. ونام كلاهما مع الآخر .. ثم سألته زوجته قبل النوم مباشرة :

ما قصة هذه القرارات .. المفاجئة ..؟

فأجابها (إبراهيم) قائلاً :

فيما بعد .. يا (نبيلة) .. فيما بعد .. أرجوك اتركينى أنام الآن .. فقد وصلت إلى مرحلة فقدان الوعى .. بحق .. وبعد الاستيقاظ .. والصلاة .. وتناول وجبة الغداء .. عادا إلى غرفتهما .. وارتمت فى أحضانه .. وبدأ يشرح لها فى هيام .. بأنه قد أخطأ فى حق الكثيرين .. زملائه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وأصدقائه .. وتلاميذه .. وممرضيه .. ومرضاه .. وأن أكثر شخص قد أخطأ فى حقها .. هى .. ويجب إصلاح كل ذلك بأى شكل .. من الأشكال .. وأنه لن يستطيع الاستغناء عنها منذ الآن .. وحتى يموت مرة أخرى .. فانتفضت مرة أخرى بين يديه .. عندما نطق بالموت مرة أخرى .. مثل عصفور قد ذبح بغير سكين .. فاعتذر لها .. وطبطب عليها مهدئًا ..

ثم قال لها فى حنان :

غدًا عندما تحين لحظتى مرة أخرى .. فوضعت أناملها على فمه .. وهى تحاول منعه من الاستكمال .. إلا أنه استطرد قائلاً :

لقد فكرت فى المستشفى .. والعيادة .. من سيتولاهم من بعدى .. إنهما الكنز .. الذى نغترف منه .. الرزق الذى منَّ الله سبحانه وتعالى علينا به .. من سيتولاه .. لذلك .. يجب إعدادك .. خير إعداد لذلك .. إنه ميراث أولادك .. فيما بعد .. من بعدى .. ويجب المحافظة عليه .. وعدم إهداره .. فضلاً عن أننى .. لا ولن أتركك مرة أخرى .. فاستسلمت له كالعادة .. وإطاعته فى هيام .. وقد فرحت كثيرًا .. كثيرًا بذلك .. ثم همس فى أذنها .. قائلاً : ويجب ألا ننسى حق الله سبحانه وتعالى علينا ..

فيجب بناء جامع كبير له سبحانه .. حمدًا وشكرًا له على كل شىء .. كما يجب إحضار الشقيق .. الذى وعدت به أولادى فى الصباح .. فأجابته فى دلال :

كلا .. يا .. (إبراهيم) .. ليس الآن .. أرجوك .. فأنت ما زلت .. فقاطعها قائلاً فى حيوية .. ونشاط :

مثل الحصان .. وحاولت التملص منه .. ولكن بلا فائدة ..

* * *

فى المساء حضر شقيقه (أشرف) .. وزوجته .. وأولاده .. وتناولا العشاء سويًّا .. وكانت أمسية .. وليلة من أروع الليالى .. وتقابل أولاد العم مع بعضهم البعض .. وأخيرًا وليس آخرًا .. تم هدم الجدار العازل بين الأشقاء .. واتفق الشقيقان على التزاور أسبوعيًّا فيما بعد ...

وتمت صلة الرحم .

* * *

فى صباح اليوم التالى .. ذهبت (نبيلة) .. مع زوجها إلى المستشفى .. وهى فى غاية السعادة .. بل تكاد تطير .. من شدة الفرح .. وهناك انفرد (إبراهيم) .. بصديقيه (مراد) .. و(خليل) .. وأخبرهما بقراره الجديد .. بأنه قد جعل زوجته مديرة المستشفى .. طالما هو غير موجود .. بينما فى حالة وجوده .. فالأمور كما هى .. هو صاحب المستشفى .. وهما مديروها .. وتذرع لهما بأنه يفعل ذلك .. حتى إذا حانت لحظة موته مرة أخرى .. ومع ذلك لم يغضب منه أصدقائه .. بل تقبلوا الأمر بشكل جيد .. فقد كان جُل ما يهمهم .. هو وجودهم مع بعضهم البعض .. فلم تكن لهم ثمة أطماع شخصية .. أو مادية .. ودخلت (نبيلة) لأول مرة غرفة العمليات مع زوجها الحبيب .. فى البداية لم تتحمل .. وامتعضت .. من آثار الفتح .. والدماء .. ولكن وجود زوجها الحبيب بجوارها شجعها .. وأجبرت نفسها على التحمل من أجله .. وقام الزوج بإجراء حوالى ثلاثين عملية فى هذا

www.looloolibrary.com

اليوم .. ولم تصدق قـدرة زوجها على فعـل ذلك .. وعادت إلى البيت .. وقد أدركت الآن .. أن زوجها كان معه كل الحق .. فى أنه قد أجلسها فى البيت .. وتم تحضير وجبة الغذاء .. وبعد الانتهاء .. من وجبة الغذاء العائلية .. صعد الزوجان للنوم .. وفى المساء .. وبالتحديد بعـد صلاة العشاء .. ذهب الزوجان إلى حيث العيـادة .. وتقابل مع (سمير) .. و(أميـر) .. واستقبله الأول بالترحـاب والتهليل .. والسلامات .. والأحضان .. والقبلات .. بل وانكب على يده يقبلها .. ولأول مرة أيضًا منذ سنين .. قام (إبراهيم) بإلقاء السلام على مرضاه جميعًا .. الذين قاموا جميعًا للسلام عليه .. وتهنئته بنجاته .. وسلامته .. وحان الدور على (أمير) .. للسلام على الطبيب .. وسلم الممرض على مخدومه .. فى منتهى البرود .. أما (مصطفى) .. فقد استقبل أستاذه .. بالقبلات والأحضان .. والدموع بحق .. ثم انفرد الأستاذ .. بتلميذه .. وأخبره بأنه منذ اليوم قد انتهى دوره فى العيادة .. وأن دوره من الآن سيكون فى المستشفى الخاص به .. وحاول (مصطفى) أن يستفسر عن سبب ذلك .. فأجابه أستاذه بأنه يريد أن يجعل زوجته .. خليفته فى العيادة .. ولأن (مصطفى) كان ذا كرامة عالية .. فلم يتوسل .. أو يتذلل .. وقبل الأمر على الفور قائلاً :

يكفينى شرفًا .. بأننى سأكون معك فى المستشفى .. يا أستاذى العظيم .. واحتضن التلميذ أستاذه فى تبجيل .. ثم انصرف يلملم أشياءه الخاصة به ..

وكانت الزوجة فى تلك الأثناء تجلس مع المرضى فى صالة الاستقبال .. ثم استدعى (إبراهيم) ممرضة الثانى (أمير) ثم قال له معتذرًا :

اعلم يا (أمير) .. أننى قد أسأت لك كثيرًا .. وأهنتك أكثر .. وأكثر .. ولذلك أريدك أن تسامحنى .. وتصفح عنى .. واحتضن كلاهما الآخر .. وقد زالت كل المشاحنات التى بينهما .. ثم دخلت زوجته .. وبدأت أول دروس التعلم .. ومرت الأيام وذهب الزوجان إلى العمرة .. وسأل الزوج عن أفضل الطاعات هناك .. فأخبروه الطواف ببيت الله الحرام .. فظل يطوف حامدًا شاكرًا حتى تورمت قدماه .. ثم عاد من رحلته هو وزوجته .. ثم ذهب مع عائلته إلى فرنسا فى رحلة أخرى .. كما وعد نجليه .. وأصدر تعليماته .. قبل سفره إلى الرحلتين .. بأن أى مريض يريد الكشف .. فى أى وقت سواء فى المستشفى أو العيادة .. فليحجزوا له على الفور .. كما قام بتخفيض ثمن الكشف .. من أربعمائة جنيه إلى مائة جنيه فقط .. كما قام بإلغاء الخمسين جنيهًا .. عنـد إعادة الكشف .. كما خصص يومى الخميس والجمعة للفقراء والمحتاجين .. وبدأت زوجته رويدًا .. رويدًا .. تتـدرج .. فى العمـل .. حتى أتقنتـه .. وأصبحت خيـر معاون له .. وقام ببناء الجامع .. كما وعـد .. وندر .. وحضر الأسـتاذ (فاضل) .. هو وزوجته وكم كانت سعادته .. عندما وجد زوجـة الطبيب .. الدكتورة (نبيلة) .. هى التى تقوم بإجراء أشعة (الإيكو) على قلب زوجته .. وشكر الاثنين جزيل الشكر على ذلك .. سيما وقد تحسنت زوجته على

Looloo
www.looloolibrary.com

علاج الطبيب .. ثم سرعان ما تذكر المستشار (صبرى) .. فأحضر (إبراهيم) رقم هاتفه .. واتصل به واعتذر له .. وسرعان ما اعتذر المستشار (صبرى) له .. ثم هنأه على سلامة النجاة .. والعودة بالسلامة .. وطلب الطبيب من (صبرى) الحضور إلى عيادته .. لشعوره بالذنب .. ولأنه يريد إصلاح خطيئته .. وحضرت زوجه المستشار على مضض .. واعتذر لها (إبراهيم) ولزوجها أكثر من مرة .. ولم يلق هذا التصرف قبولاً لدى زوجته (نبيلة) .. ولكنها .. لا تجرؤ على مناقشة زوجها .. حبيبها .. أو معارضته .. أو الإساءة إليه .. ومضت الأيام .. وحدثت المفاجأة الكبرى .. وأصبحت (نبيلة) .. حاملاً .. ثم أنجبت ولدًا .. كان زينة البيت بالنسبة للجميع .. وأسماه زوجها (نبيل) .. تيمنًا باسم .. أمه .. وعاش الجميع فى سعادة .. وهناء .. وتغير (إبراهيم) كليًا .. إلى الأحسن .. مع الجميع .. ولاحظ الجميع ذلك بلا استثناء .. وأصبحت زوجات الأصدقاء .. أصدقاء .. يتقابلون معهم .. كلما سنحت الفرصة .. أما التأمين الصحى .. فقد خصص له ثلاثة أيام من الأسبوع .. وبالطبع كانت زوجته الحبيبة معه .. وأصبح يعامل الجميع بلا استثناء .. بمنتهى الود .. واللطف .. والاحترام .. وأصبح محبوبًا .. مقبولاً من الجميع .. بعد أن كان مكروهًا .. منبوذًا .. لقد جاءته الفرصة .. مرة أخرى .. ولقد أحسن استغلالها واقتناصها .. وعاش (إبراهيم) مع أسرته .. فى منتهى السعادة .. والبهجة .. وقام بوصل الجميع .. وتغير (إبراهيم) كليًا ..

بحق .. وعلى الرغم من أنه كان يعشق النور .. بكل جوارحه .. وجوانحه .. ولكن بعدما حدث له .. وتعرض له .. أصبح لا يخاف الظلام .. بل لا يبغض الظلام أبدًا .. أبدًا .. بل لقد .. أصبح يحب النور ..

والظلام ..

سواء ..

بسواء ..

بل أدرك شيئًا .. هامًا جدًا .. جدًا .. إن النور .. ليس نور المصابيح .. وإنما هى نور القلوب .. أولاً .. ثم نور .. الآلاء والنعم .. ثانيًا .. التى يغمر بها الله سبحانه .. عباده بصفة عامة .. ويختص بها بعض عباده ببعض النعم الخاصة .. بصفة خاصة .. التى يجب عدم إستغلالها .. واهدارها كما فعل هو .. فإن أصاب القلب الظلام .. ضاع معه كل شىء .. ثم معه ستضيع النعم .. ونورها ...

رويدًا ....

رويدًا .....

* * *

وقف الطبيب (إبراهيم) .. أمام المرآة .. ينظر إلى نفسه وأناقته .. وروعة حلته .. فى تواضع وهدوء شديدين .. وفى تلك اللحظة ندت منه التفاتة .. نحو شعره .. والذى كان يومًا ما .. مصدر عزته وفخره

Looloo
www.looloolibrary.com

وغروره .. سيما وقد خط الشيب فوديه .. وبقوة .. وبل وشرع يزحف نحو باقى شعره كله .. سيما بعد مروره بتلك التجربة الرهيبة .. وخروجه بمعجزة حقيقية من قبره وظلمته الشديدة .. وعلى الرغم من ذلك .. فلم يصبه الاستياء الشديد .. من جراء ذلك .. بل على العكس فقد كان سعيدًا بذلك .. وشرع ينثر على نفسه .. أغلى وأجمل العطور .. ولكن ليس تكبرًا منه .. هذه المرة .. ولكن لأنه يعشق ذلك .. فى تلك اللحظة كانت زوجته .. تنتظره .. وتتأمله فى هيام .. على عتبة باب الغرفة .. ثم قالت متصنعة الجدية .. ومداعبة له فى نفس الوقت :

احم .. احم لقد تأخرنا كثيرًا .. على مرضى التأمين الصحى .. فقال لها فى جدية :

أنا آسف .. يا حبيبتى .. لقد تأخرنا اليوم بحق ..

وانطلقا كلاهما يتسابقان .. ويهرولان ..

إلى حيث التأمين الصحى ...

وشرعا يهرولان .. ويهرولان ....

ويهرولان .....

أنباء سارة للشباب من :

روايات مصرية للجيب

مفاجأة جديدة

سلسلة جديدة من روايات مصرية للجيب تجمع كل الفائزين فى مسابقة :

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

فى كل رواية متعة دائمة !!

ظهر من هذه السلسلة :

1	البرنامج (تحرية مخيفة) .	بقلم / عبير عبد الرزاق
2	لوتس (دماء فى العبد) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
3	مغامرات صحفية (كلاب جائعة) .	بقلم / مصطفى محمد سليمان
4	مغامرات (س) (رجل من وهم) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
5	المقابر العبد (المملكة المفقودة) .	بقلم / معز عبد اللطيف عبد الوهاب
6	ملفات سرية (300 دقيقة) .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
7	مغامرات (س) (عين القط) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
8	لوتس (فحاسيح نيلية) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
9	مغامرات (س) (الأعرج) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
10	مغامرات (س) (دائرة الموت) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
11	لوتس (شبح المقابر) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
12	مغامرات (س) (صديقنى) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
13	مغامرات (س) (دقات القرع) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
14	لوتس (الجمعان الذهبى) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
15	مغامرات (س) (أخوة الدم) ج1	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
16	مغامرات (س) (أخوة الدم) ج2	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
17	لوتس (أسرة الرمال) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
18	مغامرات (س) (وراء الظلال) .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
19	مغامرات (س) (اللعنة) ج1	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
20	مغامرات (س) (اللعنة) ج2	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
21	حياة جديدة .	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
22	العائد .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
23	الذى فعلته .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
24	قصة فرنسية .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
25	أيام مع الشيخ .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
26	منظمة اسمها الفوضى .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
27	لمسة بريطانية .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
28	حياة جديدة ج2	بقلم / محمد سليمان عبد المالك
29	عصر القرع .	بقلم / ناصر إبراهيم محمد
30	سطورة المؤسسة .	بقلم / أحمد محيى الدين .
31	صراع الأوغاد .	بقلم / محمد دوقى .
32	سجين تريبح .	بقلم / د. حسام حسرى .
33	الغرفة السوداء .	بقلم / والد القاضى .
34	لا تصالح .	بقلم / والد القاضى .
35	آلة الزمن .	بقلم / د. حسام حسرى .
36	وجه المذنوب .	بقلم / د. حسام حسرى .
37	الجنان والقسوة .	بقلم / والد القاضى .
38	النور .. والظلام .	بقلم / والد القاضى .

روايات مصرية

سلة الروايات 38

فى كل رواية متعة دائمة !!

وائل القاضى

25 / 12 / 018

النور والظلام

يوميات طبيب مصرى تسير حياته رتيبة هادئة وتتطور به الأحداث من علو وارتفاع إلى انخفاض ، ثم إلى الحضيض الذى ليس بعده شىء إلا الحساب . . وفجأة العودة إلى ما كانت عليه الأمور مرة ثانية .

Looloo

Digitally signed by Looloo
DN: cn=Looloo, o=www.looloolibrary.com, ou, email=looloo@looloolibrary.com, c=
Date:

www.rewayatmasreya.com

facebook.com/rewayatmasreya

الخط الساخن
19350

العربية الحديثة

08948009